المشرق

سنةٌ جديدة

قد مرَّ على مجلّتنا سنتان وهي بأيده تعالى لا تزال تخدم الدين والعلم خدمةً نصوحًا قدّرها ذوو البصيرة حقّ قدرها ولم ينكرها غير افراد قليلين ممّن حدانا حبُّ الحقيقة الى تزييف آرائهم المموّهة او ألجأتنا الذمّة الى معاكسة مبادئهم الفاسدة الّا انّنا في هذه المجادلات لم نخرج عن الخطّة التي تحرّيناها ونتحرّاها ان شاء الله في كل آن وهي مراعاة آداب الجدال فنفنّد المزاعم الباطلة ونقطع النظر عن الاشخاص

هـذا وقد امكن القرّاء ان يتحقّقوا بانفسهم ان المشرق لم يستثنِ من ابحاثه علمًا ايًّا كان كما تشهد على ذلك مقالاتهُ في اللاهوت والفلسفة والعلوم البيانية واللغة والشعر والتاريخ واحوال الامم والطوائف والآثار القديمة والطبيعيّات والطبّ والهندسة والموسيقى . كما انهُ لم يتحاشَ المواضيع التي يتباحث فيها اصحاب النوادي الادبية وارباب الدوائر السياسيّة وكتبة المجلّات الفنيّة كمسألة مؤتمر السلم والبورس والترنسفال والزراعة والتجارة غير اننا لا نعتبر في مثل هذه المطالب سوى وجهها العلميّ لئلّا تصبح المجلة من الصُحف الاخباريّة كالجرائد العمومية

ثم انّنا في اختيار موادّنا نؤثر الابحاث التي تريد القرّاء معرفة بلادنا

الشرقية على ما سواها املمنا ان احوال الوطن وتواريخهُ ومشاهير رجاله لا تزال كمثل كنز دفين لا يُعرف منه الّا النزر القليل . وفي هذه السنة ان شاء الله نتوسَّع في هذه الابحاث الوطنية ونبعث منها ما هو مسجّى في اكفان النسيان قبل ان تأخذهُ يد الضياع ونحن نأمل من لطف قرائنا ان يؤازرونا على هذا العمل الخطير الذي لا يتمّ بغير التكاتف واجتماع القوى

ونختم بالدعاء اليه تعالى ان يشملنا وكلّ اصحاب الخير بنعمه الغزيرة في هذه السنة الجديدة تحت ظلّ اريكة متبوعنا الاعظم وسلطاننا الافخم بمنّه وكرمه

رئاسة

الاحبار الرومانيين على كنائس الشرق

في القرن الاول للنصرانيّة

للاب يوحنا راي اليسوعي

انّ الرب لذكره المجد في صلاته الاخيرة الى ابيه السماوي (يو ١٧ : ٢١) طلب منهُ بالحاح ان يجمع قلوب تلامذته بالوحدة والوفاق « ليكونوا باجمعهم واحدًا » وضرب مثلًا لهذه الوحدة ناهيك به من مثل حيث قال: «كما انك انت فيَّ وانا فيك فليكونوا هم ايضًا واحدًا فينا » ثمّ بيّن انّ هذه الوحدة هي سمة كنيسته الخاصّة وعلامةٌ يستدلّ بها الناس على صحّة رسالته « حتى يعلم العالم انك انت ارسلتني »

بيد انهُ لمن المستحيل ان تقوم هذه الوحدة بغير وحدة الايمان ووحدة الرئاسة كما اثبت ذلك باصدق البراهين العقليّة والشواهد النقليّة قداسة الحبر الاعظم ابينا البابا لاون الثالث عشر في رسالته البديعة التي وجّهها منذ اربع سنوات الى العالم الكاثوليكي وحدة الكنيسة . ولا وحدة البتّة في الايمان والرئاسة خارجًا عن كرسيّ رومة كما قال اوبتاتوس الميلاوي من كتبة القرن الرابع :« في هذا الكرسي الوحيد يتعيّن على الكلّ ان يحفظوا الوحدة ». وكان القديس قبريانوس الشهيد سبق في رسالته الى البابا

كورنيليوس: « انَّ المنشأ الوحيد الذي منهُ نبعت الهرطقات وتولّدت الانشقاقات هو عدم الطاعة لحبر الله وإباء الاعتراف في الوقت نفسهِ بحبرٍ واحد وقاضٍ واحد ينوب مناب المسيح في الكنيسة »

ولمَّا كان بعض اصحاب الغايات صوَّبوا سهام الملامة الى اقاويل الحبر الاعظم ونسبوا ظلمًا الى الاحبار الرومانيين ارتياحهم الى العظمة والرئاسة كانهم حصلوا على رتبتهم بالدسائس فاستبدُّوا بسلطان لم يُعطَ لهم احببنا ان نرجع الى قرون الكنيسة الاولى حيث كان مَعين التعاليم الرَّبية صافيًا لم يَشُبْهُ شيءٌ من المزاعم الباطلة فنستقري آثار تلك الاعصار لعلَّنا نقف على معتقد المسيحيين الاولين في الكنائس الشرقيَّة نفسها. فان اقرَّ معاصرو الرسل او خلفهم الأدنون بسلطان الكرسي الروماني فإنَّ ذلك ألَّا صدى التعاليم الرسوليَّة او بالاحرى صدى صوت المسيح الذي قال لتلاميذهِ (متى ٢٨ : ١٩): « اذهبوا وبشِّروا كلَّ الامم وعلّموهم ان يحفظوا جميع ما اوصيتكم بهِ »

على انَّ هذه الآثار القديمة كانت بقيت قرونًا عديدة مدفونة في جوف الارض او في خبايا المكاتب حتى قام علماء عصرنا هذا وطافوا البلدان وبذلوا الدرهم عن نفس سخيَّة فجاءت مساعيهم مكلَّلةً بالنجاح وأحرزوا قَوت النضال. وفي عداد هؤلاء الجهابذة قوم ممن لا ينقادون الى سلطان الكنيسة او ينبذون ربقة كلّ دين فاضحى ما وجدوهُ من الشواهد الناطقة بسيادة خلفاء بطرس الصفاة كآيات باهرة لا يُستطاع ردّ قوَّتها القاهرة

وفي مقالتنا هذه نقتصر على ذكر الشواهد التي تبيّن صريحًا انَّ كنائس الشرق الاولى كانت تعترف جهارًا بان الحبر الروماني راعي الرعاة وان كنيستهُ امُّ الكنائس جمعاء لها السيطرة والسيادة عليها. وهذه الدلائل مع قلَّتها لبعد العهد كافيةٌ لترضي العقول المنزَّهة عن الهوى والاغراض وتُقنع من يطلب الحقَّ بحثًا صرفًا لوجه الله

واول اللوائح المُسفرة والحجج النيّرة المثبتة لهذه الحقيقة التاريخيَّة الرسالة الاولى التي انفذها البابا اكليمس تلميذ بطرس الصفا وخلفهُ على كرسيّهِ الاعلى الى اهل كورنتس فانَّ لهذه الرسالة شأنًا لا يُبلغ شأْوُهُ ويُدرك مداه. وان استثنينا الكتب المُنزلة والاسفار الالهيَّة لا نجد في الاعصار الاولى اثرًا اثبت عهدًا واصدق دليلًا من

هذه الكتابة الجليلة التي لم يجسر احدٌ من أنداد كنيسة الله واخصامها على ان ينكروا صحتها. قال الاب كاميت البنديكتي الشهير نقلاً عن اوسابيوس المؤرّخ : «كانت رسالة اكليميس البابا تُقرأ علانيةً في الكنائس وتُعتبر لدى المؤمنين بمثابة الاسفار القانونيَّة. وقد نعتها بارونيوس المؤرخ بالرسالة العظمى البديعة »

وافاض الدكتور الانكليكاني بالاي (Paley) بوصف هذه الطرفة ومدحها وأسند قولهُ الى شهادات الاباء الاولين كايرنـاوس تلميذ الاسقف بوليكرب تلميذ يوحنا الحبيب الذي يفحم الهراطقة بمضمون هـذه الرسالة وكديونيسيوس اسقف كورنتس الذي يشهد « نحو سنة ١٧٠ م اي نحو ٨٠ سنة فقط بعد تأليف هذه الرسالة « أنها كانت تُتلى في كنيستهِ منذ زمن قديم »

وان اضفنا الى هذه الشواهد اقوال العلماء الاباحيين كبوْر (Baur) واشياعهِ ثمَّ الحقناها بشواهد الكنائس الشرقيَّة كلها علمنا ان هذا الاثر من أصدق ما خطَّهُ قلم الآباء الاولين لا يختلف في صحتهِ اثنان

وكأني بالقارئ يستحثنا فيقول: ترى ماذا تتضمَّن هذه الرسالة وباي شيء تثبت رئاسة حبر الاحبار على الكنائس الشرقيَّة ؟

لَبيك ايها القـارئ العزيز ودونك الجواب. اعلم ان كورنتس كانت اضحت حاضرة بلاد اخائية او بالاحرى عاصمة الاقطار اليونانيَّة جمعاء مذ كانت خربت أثينا وذهب جاه أثينة العظمى. وكان اهلهـا يتباهون بثروتهم وسمو مداركهم ومعارفهم الادبيَّة وعلومهم الفلسفيَّة. على انَّ رذائل التمدُّن الوثني افسدت اخلاق كثيرين منهم واظلمت عقولهم والقتهم في مهامهِ الجهل والضلال. وكان لليهود في كورنتس البـاع الطولى في المعاملات والمتاجرات. وهم يبالغون في المحافظة على سُنن الفريسيين فضلاً عن شرائع موسى

فلمَّا دخل بولس الرسول هذه المدينة وبشَّر فيها بالمسيح تنصَّر على يدهِ كثيرون فانشأ في كورنتس كنيسةً زها اعضاؤها بالفضل والفضيلة. بيد ان شيطان الفتنة استفزَّ بعد ابتعاد الاناء المصطفى قلوبَ بعض المرتدين من اليهود فسوَّل لهم ان يحدثوا شقاقاً بين جمهور المسيحيين فاضطرَّ بولس الى ان يكتب لهم رسالتين يؤنّب فيهمـا اصحاب الشغب والخصومات ومن قولهِ (١ كو ١ : ١٠) : « اسألكم ايها الاخوة باسم ربّنا يسوع

المسيح ان تقولوا جميعكم قولًا واحدًا وألّا يكون بينكم شقاق بل تكونوا ملتئمين بفكر واحد ورأي واحد »..فتمكّن رسول الامم من كبح جماح الفتنة بسطوته واخمد ضرامها الى حين

ولكن ما لبث بولس الرسول ان فاز مع بطرس باكليل الاستشهاد في رومة ام المدائن. فظنّ اصحاب الفتن انّ الجوّ خلا لهم فيمكنهم ان يزرعوا في قلوب الكورنتيين بذور آرائهم الباطلة. فضرب الشيطان ثانيةً قبابهُ بين نصارى كورنتس. فثارت ثوائر القوم وتعدّدت الاحزاب وتضاربت الآراء. وحدث من جرّاء ذلك شقاق لم يستطع اسقف المدينة ان يُرتج بابهُ ألّا بالالتجاء الى رئيس تُذعن اليه رعيّتهُ وتنقاد الى قوله لما خُوّل من السيادة والسلطة. وما كان هذا الرئيس الاعلى سوى اسقف رومة وهو وقتئذٍ اكليميس ثالث خلفاء بطرس الرسول فرفع اليه اسقف كورنتس امر كنيسته وطلب منهُ ان يحسم هذا الداء بسلطانه السامي قبل ان يستشري الفساد ويتّسع الخرق. فاسرع اكليميس وارسل الى اهل عاصمة اخائية الرسالة التي نحن الان بصددها فكانت هذه البراءة الرسوليّة الاولى التي اصدرها الاحبار الرومانيون وبها عادت الراحة والسكينة الى كنيسة كورنتس بعد الهيجان والبلبال

وهنا يجدر بنا ان نعتبر هذا الامر الجسيم ونسبر غور معناهُ فنقول مع اسقف أنجه السيد فريبل (Freppel): « تُرى لماذا اسرع زعم كنيسة كورنتس فنزع الى رومة وطلب من راعيها النجدة في بلائه ؟ ألعلّهُ لم يجد بجواره كنائس اخرى انشأها الرسُل أما كانت بيع فيليبي وتسالونيكية وبيراي اقرب من كورنتس وفيها عدد من الاساقفة الافاضل الذين كانوا من جنس الكورنتيين يتكلّمون بلسانهم وهم يتخرّجون بآدابهم فماذا حمل راعي كنيسة رسوليّة الى ان يعدل عن الأقربين ويجتاز البحار ليستغيث بكرسي رومة البعيد ؟ وما لهُ لم يلتجئ الى كنائس ازمير وافسوس وآسية الصغرى ومنها كانت مياه النصرانيّة جرت اوّلًا الى كورنتس ؟ أما كان الاحرى بالابنة ان ترفع امرها الى امها التي غذتها بافاويق الايمان ؟ وزد على ذلك انّ التلميذ الحبيب يوحنّا الرسول كان وقتئذٍ في قيد الحياة يسوس هذه الكنائس بخبرة وحكمة ليس لهما مثيل فما بال اسقف كورنتس لم يحتفل بكل هذه الاعتبارات ووجّه نظرهُ الى رومة وحبرها لو لم يعرف ان هناك مركز السلطة وان لكرسي رومة وحدهُ ان يحلّ المشاكل ويبتّ الحكم الفصل. ولولا ان هذا

الامر كان ثابتاً عند اهل كورنتس لكانوا نبذوا ظهريًا حكم الحبر الروماني بدلًا من ان يتلقَّوهُ بالطاعة والاذعان كما فعلوا. فرفعْ دعوى الاسقف الى رومة وطاعة الكورنتيين دليلان ساطعان على ان المؤمنين الاوَّلين كانوا يعتبرون كنيسة رومة كالكنيسة الاولى التي يحقُّ لها الحلّ والعقد والامر والنهي وما لذلك داعٍ آخر الَّا لان الحبر الروماني كان خليفةً لبطرس الذي عُهدت اليه رعاية الكنيسة جمعاء بقول الرب لهُ المجد: « ارعَ خرافي ... ارعَ نعاجي »

هذا ران في مضمون الرسالة المنوَّه بها برهانًا آخر على الحقيقة التي نريد بيانها فانَّ كلام صاحبها ينبئ بتمامهِ قرّاءهُ بنه ويحذّر ويرشد ويزجر كما يفعل من قُلّد ملء السلطان

وقد افتتح اكليمنس رسالتهُ بوصف حالة الكورنتيين في زمن وفاقهم وطاعتهم الى رؤسائهم « اذ كانوا يعيشون بالحبّ والوداد سائرين بموجب وصايا الرب يسوع وممتثلين لاوامر الرسل وكهنة الله القائمين لتدبيرهم. فكانوا اذ ذاك مثالًا لجميع الكنائس وقدوةً للمؤمنين وغير المؤمنين. يباشرون المبرّات ويتسابقون الى عمل الصالحات »

ثمَّ يتخلَّص البابا اكليمنس الى ذكر الخصومات والانشقاقات التي دخلت بين اهل كورنتس فحطَّت من شأن هذه الكنيسة وصارت كصخرة عثار لمن يراهم. ثمَّ يبحث عن سبب هذه الشرور المتفاقمة فلا يجد سببًا آخر غير عصيانهم على رؤسائهم الروحيين وانكارهم عليهم الطاعة

واذ وجد اكليمنس اصل الداء تراهُ في رسالتهِ كأبٍ حنون وطبيب حاذق يطلب للعلّة علاجًا شافيًا يتلافى بهِ المرض وينجي العليل من سوء العقبى. وهذا الدواء المطلوب هو اعتبار نظام الكهنوت العجيب الذي رتّبهُ الله نفسهُ في كنيستهِ. « فكما انَّ الربَّ اقام في العهد العتيق عظيم الاحبار وجعلهُ في رتبة خاصّة ثمَّ جعل تحت امرهِ الكهنة واللاويين وعيَّن لكل منهم خدمةً معلومة وجعل في الرتبة السفلى لفيف الشعب هكذا يقتضي عليكم ايها الاخوة ان تحافظوا جميعكم على مراتبكم ولا يتعدَّى احد طورهُ بل يتمّم كلٌّ واحد بنشاط خدمتهُ التي اصطفاهُ الرب لانجازها »

ثم بعد ذكر الذبائح والقرابين التي كانت تُقدَّم للرب في العهد القديم في اورشليم

يشرع القديس بوصف نظام الكهنوت الذي « انشأه المسيح المرسل من الله بحـل. السلطان وقد اجاز المسيح سلطانهُ الى رسله الابرار وارسلهم الى العالم كله ليبشروا بملكوت الله. فلبّوا الى امر سيّدهم وانتشروا في البلاد كلها واناروا الشعوب بأنوار الايمان القويم » (رسالة اكليمس الاولى الى اهل كورنتس الفصل ٤٣)

لكنّ رسل المسيح علموا حقّ العلم انّ الايمان لا تثبت دعائمهُ في القلوب إلم يقيموا رُعاة ينوبون عنهم في الروحيّات ولذلك «جعلوا لكلّ الكنائس اساقفة وشمامسة قلّدوهم الحكم على المؤمنين ليحافظوا على وديعة الايمان ويجدّدوا في تنصير اهل لمرك. ولا غرو ايها الاخوة فان موسى كليم الله فوّض الى رؤساء الاسباط الاثني عشر شيئاً من سلطانهِ وهكذا رسل المسيح فانّهم لمّا سبقوا فعلموا ان ستقوم بعدهم الشقاقات والخصومات بسبب الرتبة الاسقفيّة تداركوا ذلك ووضعوا في الكنيسة قوانين ثابتة لاختيار خلفائهم الذين يتولون بعدهم شؤون الكنائس. فاذا جرى هذا الانتخاب الشرعي وصادقت عليهِ الكنيسة العامّة ثبت واستقرّ. . ولا يجوز لنا بدون اثم ان نعزل هؤلاء الرعاة الشرعيين اللهمّ اذا قاموا بمهنتهم قياماً حسناً ورعوا بنشاط قطيعَ المسيح » (١)

ولهذه الرسالة ختامٌ حريٌّ بالنظر يزيد برهاننا قوّةً وكان هذا الختام سقط من الاصل اليوناني ولم يزل مجهولاً الى يومنا حتى اكتشف عليهِ في خزانة كتب الفنار في الاستانة العليّة فيلوثاوس بريِنّيوس احد اساقفة الروم الارثذكس فنشرهُ بالطبع واتّفق كلّ العلماء على صحتهِ. ففي هذا الختام يقول اكليميس الى اهل كورنتس (الفصل ٥٩ من طبعة ليبسيك) : « هذا هو حكمنا فانْ أطعتم امرنا فنعماً امّا اذا ردّ بعضكم ما فاه بهِ المسيح عن لساننا فليعلموا انهم يتهوّرون في خطر عظيم ونكون نحن ابرياء من اثمهم ». وكذلك في الفصل ٦٣ يقول: « انكم تدعمون قلبنا سروراً ان امتثلتم لاوامرنا هذه (ὑπήκοοι γενόμενοι τοῖς ὑφ' ἡμῶν γεγραμμένοις) المخطوطة بالهام الروح القدس واستأصلتم اصول البغض والشحناء بموجب السلام والوفاق الذي وصفناهُ في رسالتنا هذه . . . وقد أرسلنا اليكم رجالاً ابراراً ليكون شهوداً بيننا وبينكم ويسعوا بامر السلم قريباً بين الخصوم وذلك لتعلموا غيرتنا على صلاحكم »

١) راجع اعمال آباء اليونان (مين الجزء الاول ص ٢٩٣ ف ٤٤)

فهذه هي الرسالة البديعة التي بعث بها اكليميس البابا الى المؤمنين في كورنتس ولولا ضيق المكان لاثبتنا منها فصولاً كثيرة تنطق كلها بما استعر بهِ قلب اكليميس من المحبة لهذه الكنيسة المُبتلاة بالشقاق والخصام. فلعمري أهكذا يكون كلام رجل ليس لهُ شيء من السلطة ؟ او كيف يستطيع ان يزجر المنشقين وينذرهم بالبلاء والاخطار ان لم يرعووا فيطيعوا رؤساءهم؟ بل كيف يجسر اكليميس ان يطلب الطاعة لنفسهِ كما للمسيح ان كان لم ينل بحق الخلافة البطرسية السلطان الكامل لرعاية الكنائس كلها ؟ أفيقال ان اكليميس نسب الى نفسهِ سلطةً مختلسة وهو من مشاهير القديسين الشهداء تكرمهُ الكنائس الغربيَّة والشرقيَّة معاً ؟ وكيف رضي بوساطتهِ اهلُ كورنتس لو علموا انهُ لا سلطة لهُ عليهم ؟ بل كيف اعتبرت كنائس الشرق هذ الرسالة اعتبارها للكتب المنزلة كما شهد اوسابيوس المؤرخ (ك ٢ ص ١٦) اذ قال انَّ هذه الرسالة كانت شائعة في كنائس آسيَة تُقرأ فيها ايام الآحاد كما تُقرأ رسائل بولس الرسول

وزد على ذلك ان اكليميس لم يكتفِ هذه المرة بمكاتبة اهل كورنتس. فان كنيستهم بعد رجوعها الى الهدوء والطاعة بقيت مدَّة رائعة في بحابح السلام وهي تنمو وتزداد عدداً وفضلاً حتى هجمت عليها ذئاب خاطفة وهم قوم من هراطقة الابيونيين والدوقيتيين والبراتيين. فلمَّا بلغ الخبر مسامع اكليميس بادر فكتب نحو سنة ٩٨م رسالةً ثانية أقرَّ بصحتها ابيفانيوس (في كتاب الهرطقات ه ٧٧ ع ٦) وفوطيوس (في مكتبتهِ ع ١٢٦) ليثبِّت المؤمنين في الايمان ويرشق اصحاب الشيع بسهام الملامة والتقريع. واظهر بذلك أنَّهُ الراعي الصالح الساهر على القطيع الذي وكَلهُ اليهِ الرب وانهُ معلم الكنائس كلها والمفوَّض اليهِ ملء السلطان عليها

☆

ومن الشهادات اللاحقة بالقرن الاول على رئاسة خلفاء بطرس شهادة نيّرة لذلك القديس العجيب المدعو حامل الله (θεοφόρος) نعني بهِ اسقف انطاكية الشهيد اغناطيوس (✝ ١٠٧) فانهُ صدَّر رسالتهُ التي وجَّهها من ازمير الى الرومانيين بكلام يُشعر باعتقادهِ في رئاسة الكنيسة الرومانية وهذا قولهُ بالحرف (مجموع آباء الكنيسة اليونانيَّة ٥ : ٦٨٦): «اغناطيوس المدعو حامل الله الى الكنيسة التي نالت رحمةً من لدن الرب لآب العلي وابنهِ الوحيد يسوع المسيح وهي الكنيسة العزيزة المنوَّرة بمشيئتهِ تعالى التي

ترأس (προκάθηται) في عاصمة بلاد الرومانيين الحليقة بالله (θεοπρεπής) المستحقة الشرف الجديرة بان تُدعى مطوَّبة الحريَّة بالثناء المتقدمة (προκαθημένη) على جماعة المحبة المشرَّفة باسم يسوع المسيح ابن الاب سلام . . . »

أفلا يرى القارئ لاوَّل وهلة ما في مطلع هذه الرسالة من الشهادة لتقدُّم كنيسة رومة ورئاستها على جميع الكنائس ؟ فانهُ لم يكتفِ بان ينعت الكنيسة الرومانيَّة بنعوت وصفات جليلة لا شبه لها في رسالاتهِ الى بقيَّة الكنائس بل وصفها بالرئاسة على جماعة المؤمنين المشتركين بمحبَّة الرب. وقد اختار للدلالة على هذه الرئاسة لفظة لا تعني فقط التقدُّم والشرف والمقام بل تدلُّ على السيادة والامر فان لفظة (προκάθημαι) وردت ما خلا هذا المكان في موضعين آخرين فقط من رسائل اغناطيوس وذلك في كتابه الى اهل مغنيسيَة وفي كلا المكانين تدلُّ على رئاسة الامر لا على الشرف فانَّهُ هناك يحضُّ المؤمنين بان يطيعوا « الاسقف المتقدّم نيابةً عن الله » وان يعيشوا بالاتحاد مع اسقفهم والمتقدّمين عليهم » فينتج من ذلك انَّ القديس اراد ايضًا بكلامهِ عن كنيسة رومة ليس التصدُّر فقط بل السلطة والرئاسة. ويظهر ذلك جليًا اذا قوبل بمطالع رسائلهِ الى بقيَّة الكنائس فانَّهُ لا يكتب الى تلك الكنائس انها « متقدّمة على افسس » او « على ازمير » بل يكتب « من اغناطيوس الى الكنيسة التي هي (τῇ οὔσῃ ἐν) في افسس » او « هي في ازمير ». وزد على ذلك انَّ هذا الشهيد العظيم في اثناء رسالتهِ يقرّ بعظمة كنيسة رومة حيث يقول للرومانيين: « ليس لكم ما تحسدون به غيركم البتَّة فانكم انتم الذين تعلّمون الآخرين وانا أثبت واقرّر ما تعلّمون وما تأمرون به ». فلله درُّها من شهادة نفيسة لا تترك في النفوس ريبًا عن تقدُّم كنيسة رومة بالسلطان وحسن المعتقد وتعليم الكنائس. وفي هذا كفاية لبيان ما قصدنا هذه المرَّة. وان شاء الله نورد في مقالة أُخرى ما لدينا من الشواهد عن الرئاسة البابويَّة على كنائس الشرق في القرن الثاني

ميخائيل البحري الرومي الملكي الشاعر واولاده

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعي

كنَّا وعدنا في ما سبق والحرُّ ينجز الوعد باننا نواصل البحث في مشاهير رجال المشرق ممَّن شادوا لهم في زمانهم من العلوم صرحًا منيعًا. او اصابوا بسموّ مداركهم

مقاماً رفيعاً. فنالوا لدى الحاضرة الحظوى والاعتبار. واستلفتوا اليهم كلّ الابصار. على أننا نؤثر بينهم من قرنوا الفضل بالفضيلة. واتصفوا بالصفات الفريدة الجميلة. ليتأرّج اهل الوطن بعبير شمائلهم العاطرة. ويأتسوا بمحامدهم الناضرة

فما كلُّ ازهار الرياض أريجةٌ وما كلُّ اطيار الفلا تترنَّمُ

هذا وبينا كنّا نجدُ في البحث والتنقير عن ترجمة الشاعر الياس اده الذي اوردنا فصولاً من نظمه في سنتنا المنصرمة اذ وقفنا على اخبار رجل آخر عاش في عصره. وحلب مثلهُ اشطر دهره. فذاق من حلوه ومرّه. نريد شاعراً مفلقاً يدعى ميخائيل البحري الذي نال في زمانه من الشهرة ما دعانا الى اثبات اسمه على صفحات هذه النشرة

١

وُلد ميخائيل بن عبُّود البحري في اواسط القرن الثامن عشر في حمص من أُسرة فاضلة لا يزال منها بقايا الى يومنا في مدن كثيرة كحمص ودمشق ومصر. امَّا ملّتهُ الاصليَّة فالغالب على ظنّنا أنّها كانت ملّة الروم الارثذكس وُلد فيها ونشأ على عقائدها ودليلنا على صحّة هذا القول انّ قسماً من بيت البحري الذين يسكنون الى عهدنا هذا مدينة حمص يُعدُّون فيها من وجهاء طائفة الروم الارثذكس

ولمّا دخل ميخائيل في ريعة الشباب آنس من نفسه ميلاً الى الآداب والعلوم فأحرز منها ما امكنهُ في وطنه بدرسه الخاص واجتمع باهل الادب واخذ عنهم شيئاً كثيراً. ورزقهُ الله ثلاثة اولاد سيأتي ذكرهم في آخر هذه المقالة. ثمَّ اضطرّتهُ الاحوال الى ان يرحل الى دمشق فتوطّنها مدّةً وعاشر افاضلها وتفرَّغ فيها للنظم وكان لهُ من جود القريحة ما لم يكن لنصارى عصره فقصَّد القصائد ومدح اصحاب الفضل واحرز لهُ اسماً بين الادباء.

والمرجَّح عندنا انهُ في اثناء اقامته في دمشق اجتمع بقوم من ملة الروم الملكيين فرأى من فضلهم وحسن صفاتهم وصبرهم على الشدائد ما حدا به الى الانتظام بسلكهم والتشبُّث بعرى ايمانهم على عهد البطريرك ثاوضوسيوس دهّان. نحو سنة ١٧٧٠ فاخذ منذ ذاك الحين يسعى في تعزيز مذهب الكثلكة ويفرغ كنانة الجهد ليردّ الى الايمان القويم ابناء جلدته

وفي ذلك العهد كان يتولى على عكّا رجلٌ اسمهُ ظاهر العُمر الزيداني من

الشيوخ القيسيين المتاولة كان ولاة عليها الامراء الشهابيون فخدمهم مدة الى ان مات الامير بشير الشهابي الاول فطمع في الاستبداد ولم يزل يحارب من ناواه او تعرض له في تحقيق امانيه الى ان ثبت ملكه على عكا وضواحيها واتخذ له نوابا في يافا وحيفا وصور وصيداء ونابلس وصفد واستفحل امره. وفي سنة ١١٨٥ هـ (١٧٧١ م) طلب ابو ظاهر العمر له رجلا اديبا يقلده تدبير اموره ويسلمه ديوان الكتابة فلم يجد رجلا اجدر بذلك من احد نصارى عكا من طائفة الروم الملكيين اسمه ابرهيم الصباغ فألقى على عاتقه زمام التدبير وجعله من اخص اصحابه وكان لا يتعاطى شيئاً دون رضاه ويجنح الى آرائه. وكان ابراهيم يناظر امواله وايراداته ويقوم بصروفه ومصروف اولاده وحريمه

فسمع ميخائيل بما صار لابراهيم الصباغ من الشهرة ونفوذ الكلمة فسار الى عكا ودخل في ديوان الكتابة تحت تدبير ابراهيم المذكور واظهر من البراعة في الانشاء ونظم الشعر ما حببه الى ولي نعمه. وكان الصباغ يرشده ويتولى تهذيبه ويشد ازره حتى اصبح ميخائيل متقدماً في ديوان الكتابة

ولما كانت السنة ١١٨٩ هـ (١٧٧٥ م) ارسلت الدولة العلية حسن باشا قبودان الجزائري امير البحر ليجمع الاموال الاميرية في بلاد الشام فطلب من الشيخ ظاهر العمر ما للدولة العلية عليه من المال واستنهضه لدفعه. فاستشار الشيخ صاحب ديوانه فتبرم الصباغ بدفع المال واجاب انه ليس في يده ما يقضي به المال المطلوب. فرد الشيخ ظاهر رسل حسن باشا خائبين فغضب لذلك امير البحر وحاصر عكا واخذها عنوة وقتل الشيخ ظاهر بيد بعض المغاربة وكان ذلك في اوائل سنة ١١٩٠ هـ (١٧٧٦ م). ثم دخل حسن باشا المدينة وضبط خزائن ظاهر العمر واستصفى جميع امواله. واما ابراهيم الصباغ فقبض عليه الشيخ علي الدرويش وكان تربيه فارسله الى حسن باشا فاعتقله مدة وامر بتنكيله ثم شنقه في صاري مركبه

٢

فلما توفي الصباغ تشتت شمل عماله. فسار ميخائيل البحري الى الامير يوسف الشهابي فخدمه مدة وأرسل لبعض شؤونه الى احمد باشا الجزار والي مدينة عكا فجعله الجزار في ديوانه مع قوم من النصارى من جملتهم المعلم ميخائيل السكروج وابراهيم ابو قالوش ويوسف مارون والمعلم الياس اده. الا ان الجزار لما كان مطبوعاً عليه من شراسة

الاخلاق وسوء الطباع كان يتغيّر سريعاً على عمّاله فيزجهم في السجون ويقتل بعضهم ويمثّل بغيرهم

وكان ميخائيل البحري من جملة الكتبة الذين اخلصوا الخدمة للجزّار فخدمهُ بنشاط وغيرة بيد انّ مولاهُ اساء فيهِ النيّة وامر بهِ فأُلقي في السجن وبقي مدّة في اسوإ حال. على أنّهُ كان يتحمّل اوجاعهُ بصبر وقد نظم في السجن قصيدة اودعها شرح حالهِ ذكر منها بعض ابيات الامير حيدر الشهابي في كتابهِ «حوادث الزمان» في تاريخ سنة ١٢٠٣ هـ (١٧٨٨م). وهذه الابيات مسخها الكاتب بالنسخ فلم يُستخرج لها بيت مضبوط

وفي آخر سنة ١٢٠٣ هـ (١٧٨٩م) اطلق الجزّار سبيل اسيرهِ البحريّ لكنّهُ ابى الّا ان يترك في جسمهِ أثر همجيّتهِ فقطع آذانهُ وانفهُ ثمَّ سرّح عنهُ. فما صدّق البحريُّ ان خرج من سجن الجزّار حتى آلى على نفسهِ ان لا يدخل دار ولايةٍ ولا يقابل صاحب امر فمضى الى بيروت واتخذ لهُ مكاناً فيها وعاش في عزلتهِ وهو منقطع الى العبادة وتدبير امور بيتهِ الى ان ادركتهُ الوفاة نحو سنة ١٢١٨ هـ (١٨٠٣ م)

٣

وكان المعلم ميخائيل البحري رجلاً اديباً متوقّد الفهم حسن الذوق. وتعاطى نظم الشعر ولهُ فيهِ ديوان ضاع اكثرهُ وبقي منهُ بعض شذرات نوردها ليعلم القرّاء علوّ مقامهِ. وممّا يزيدهُ فضلاً انهُ بلغ هذه الرتبة بدرسهِ الخاص اذ لم يكن في تلك الايام مدارس منظّمة يأخذ فيها الطلبة مبادئ العلوم عن اساتذة يتفرّغون للتدريس. فمن جملة قصائدهِ ابيات قالها في الاب الفاضل الخوري يواكيم المطران مدبّر مجمع رهبان مار يوحنّا الشوير القانونيّين وكان من اهل العلم والفضل لهُ عدّة مصنّفات طُبع منها بعضها فلمّا توفي سنة ١٧٦٧ م (١ قال ميخائيل البحري يرثيهِ:

عزّى الزمان سماء كنت فرقدها سجّى القتام لارض كنت أوحدها

وهي طويلة لكنّ الركاكة فيها ظاهرة ولعلّها من اوّل نظمهِ. ومن اقوالهِ الحسنة موشّح يذكر بهِ الزمان ويتذكّر اوطانهُ واحبّاءهُ ويمدح السيد احمد البربير من مدينة بيروت وكان في زمانهِ عالماً معروفاً وشاعراً موصوفاً. وقد انتخبنا منهُ بعض الادوار:

---

١) كذا وجدنا في مجموع صغير يحتوي بعض قصائد ميخائيل البحري. وفي تاريخ طائفة الروم الملكيين (ص ٥٦) انّ القس يواكيم هذا توفي سنة ١٧٧٣ في عكا

حيِّ ذاك الحيَّ يا ريح الصبا   وأهيلَ الحيِّ عني والصبا
انَّ قلبي هام فيهم وصبا   فمتى يسمح دهري باللقا

يا بريقاً في الدياجي لما   هيَّج المحزون حتى اوجعا
يا سقى الله الحمى ثم رعى   يا رعى الله الحمى ثم سقى

حبَّذا حمصُ وهاتيك الربوعْ   وكرامٌ اشرقوا مثل الشموعْ
يا لعمري هل اليها من رجوعْ   اين اين الربع ثمَّ الملتقى

نسجت ازهارَها ايدي الربيعْ   رصَّعتها السُّحب بالدرِّ البديع
نسمةٌ احيت بذيَّاك البقيعْ   ميتَ حبٍّ من شذاها نشقا

حبذا عيشٌ مضى في ظلِّها   وزمان قد حلا مع اهلها
اضمر الشوق الغضا من اجلها   في فؤادٍ جفَّ حتى احترقا

كم ولجتُ في ثغورٍ وبلادْ   وجبال جبتُها مع كلِّ وادْ
لستُ القى مَن بهِ نيلُ المرادْ   لا ولا قد نالني الَّا الشقا

حبذا العاصي وذيَّاك النسيمْ   وغصونٌ ظلُّها ظلَّ النعيمْ
حبذا اكناف واديهِ الوسيمْ   قد نشقنا عرفهُ مذ عبقا

حبَّذا الدولاب(١) ان ابدى الانينْ   دائراً في حيرةٍ مثل الحزينْ
هيَّج الاشواق مني كلَّ حينْ   دمعهُ لمَّا غدا مُترقرقا(٢)

مرَّت الارياح في تلك الغصونْ   حرَّكت اعطافها بعد السكونْ
باكرت زهر الحمى سُحبُ الهتونْ   ذخرت عنها لشاماً فتقا

كيف يحلو عيش من امسى كئيبْ   اذ نأى عن قومهِ ثمَّ الحبيبْ
يا زماناً طَرْفهُ مثل الرقيبْ   لا رعاهُ الله طرفاً رمقا

خانني دهري بتبديد العهودْ   وغدت ايَّامنا الغرَّاء سودْ
لم اجد في غربتي خِلًّا ودودْ   لا ولا مولى سوى ربِّ التقى

١) يشير الى نواعير حمص   ٢) اسكن التاء لضرورة الشعر

احمد البربير من انشا الادبْ وعلوماً بين عُجمٍ وعربْ
وحوى فخرًا بما اسمى الرتبْ قدرهُ ثمَّ السماكين ارتقى

فاق فضلًا في الورى حتى ابانْ شرح تلخيص المعاني والبيان
وكذا نظماً حكى نظمَ الجمانْ زانهُ حسن القوافي رونقا

ذو خلالٍ قد صفتْ مثل الزلالْ وكمالٍ دونهُ كلُّ كمالْ
من يرُم من كفّهِ فيض النوالْ نال حتى في عطاهُ غرقا

يا ربى بيروت حيّاكِ الندا ورعاكِ الله من طرف العدى
حبّذا عيشٌ مضى مع احمدا وزمان في حماكِ سبقا

بلَغيهِ الشوق مني كلّما أنَّ مشتاقٌ الى ذاك الحمى
او دعا داعٍ غدا مُترنّما في دوام العمر مع طول البقا

فاجابهُ الشيخ احمد البربير المشار اليه يمدحهُ بهذا الموشّح ويسلّيهِ على اكدار الزمان

طُبع الدهرُ على عكس الاملْ وعلى رفع الذُنابى والسفلْ
ما ترى البدر عن النجم نزلْ والثرَى كيف على الهام رقا

من يرُم منهُ سرورًا وهنا فاساس المثل منهُ وهنا
كم ارى الطرفَ لبيباً فطنا ماهرًا في لجّة قد غرقا

فهو كالميزان يعلي من نقصْ او كقردٍ عضَّ الّا من رقصْ
وهو للبلبل سجن وقفصْ ويرى البوم غدا منطلقا

سنّة للناس قدماً سنّها وسيوفٌ سلّها مذ سنّها
فاذا راعتك فاصبر انّها هي والدهر كليف طرقا

انما الناس كما صحَّ نيامْ والفتى المختار منهم والامامْ
ليس يرتاع لاحلام المنامْ لو رأى الجوَّ عليهِ انطبقا

انما المرء بنطقٍ وفؤادْ فاذا فات الفتى كان الجمادْ
والحجى اشرف رزق للعبادْ اذ هو الراحة والمال شقا

ولعمري ليس ذو الفضل غريبْ بل نراهُ اينما حلَّ حبيبْ
انما الغربة للفدم القريبْ وهو بالاوطان بين الرفقا

ودليلي غربة البحري الشّهورْ الذي تملو بذكراهُ الثغورْ
شاعرٌ في صدرهِ ضمّ البحورْ مثل ضمّ البحرُ درًّا يقتقا

كم بيانٍ من معانيهِ بديعْ   قد رفضاهُ على نظم البديعْ
في مبانٍ مثل ازهار الربيعْ   ناظرًا نسيك او منتشقا
فطنٌ من بدوهِ الماضي بكى   وباصوات النواعير شكا
ودجت حمصُ وكانت فلكا   لحِباهُ فسادتْ غسقا

حازم لم يثنِ شخصٌ عقدهُ   ناظمٌ تبغي المذارى عقدهُ
لم تلد امُّ المعالي بعدهُ   فطنًا نال العلى مستبقا

دام في الصحّة والعيش الهني   بالنًا كلَّ مرادٍ حسنِ
ما شدت صادحة في فننِ   فاطارتِ كلَّ قلبٍ خفقا

وممّا نظمهُ المعلّم ميخائيل قولهُ يمدح السيد احمد البربير وقد اقترحها عليهِ المعلّم مسعد في بيروت:

يا فاضلًا اضحى بهِ   خبَرُ الافاضل مبتدا
يا مشرق الاوصاف يا   علَم الفضائل والهدى
يا بحر علم جاد في   درّ البيان منضَّدا
يا روض آدابٍ زها   وردا تكلّل بالندى
يا شمس فضلٍ اطلعت   بسما المعالي فرقدا
يا كعبةً خرَّت لها   اهلُ البلاغة سجّدا
يا من بهِ ايّامنا   كادت تنادي معبدا
يا من بهِ بيروت قد   رقَت وراقت موردا
مذ اشرقت اوصافكم   فيها فقاقت سؤددا
وغدت تباهي جلّقًا   فيها حوت باحمدا
فكأنّ هذا الشكل من   ذاك الشفيع تولّدا
لولاك ما مرَّ الصبا   بربوعها مترددا
وكذا عُبيدك لم يكن   لولا رضاكم مسعدا
يا احمد البربير يا   علمًا تخصص بالندى
عاملتموني بالصدو   د فما الذي منّا بدا
أبدلتموني بالنوى   فاعطف عليَّ مؤكدا
أشمتَّ عذّالي وقد   فرحت فينا الحسّدا

فكأنكم ملتم سما عاً نحو افواه العدى
او انَّ دهري خانني فمحا العهود وبدَّدا
يا سيدي بالله لي أعد الوصال تودُّدا
فاربط يدي ولغيركم وابيك لن اتعهَّدا
وارحم لداعٍ لم يزل يرجو لوصلك موعدا
واذا رجوتُ لقاءكم ارجوهُ يومي لا غدا
فاسلم ودُم لا زلت في عيشٍ هنيءٍ ارغدا
ما بات يُروى عنكمُ حديث فضلٍ مسندا

فاجابهُ احمد البربير :

نخرُ الصباح تقلّدا عقد النجوم تنضَّدا
ام اعين الالفاظ منـ ـها سحر بابل قد بدا
ام خمرةٌ دارت على فكر اللبيب فعربدا
ام روضةٌ غنَّاء لم يبرح باكرها الندى
ام تلك بكر بلاغةٍ عذراء تسبي الخرَّدا
لبست من النسج البديـ ـع ثيابها لا عن سدا
وشدت فما صوتُ الهزا ر على الغصون اذا شدا
واتت بقانونٍ لدى العشاق يطرب معبدا
ورقيق عتبٍ كان كالـ ـماء الزلال على الصدى
اذ كان عن ودٍّ صحيـ ـحٍ لا يمازجهُ صدا
فحواهُ اني بتُّ عن ذاك الحبيب مشرَّدا
فطفقت اقسم بالذي منح القلوب توددا
اني اودُّ دنوَّهُ مني يكون مؤبدا
ويودُّ حظّي كلَّ يو مٍ ان يقارن مسعدا
والفاضل البحريّ مَن لبس المكارم وارتدى
فهما لديَّ النَّيرا ن اذا فقدت الفرقدا
لكنَّهُ طبع الزما ن على عنادي واعتدى .

واذا القلوب تألفت قويت وان بعد المدى
يا من غدا حالي لديه اذا نمت مؤكدا
هذه عجالة من بنى فيك الرجاء وشيدا
من كل بيت مثل بيـ ت العنكبوت اذا بدا
فاسلم ودم وارق على رغم الحواسد والعدى
ما ام بابك شاعر امسى لمدحك منشدا
او ما غدا البربير من كل الورى لك احمدا

وقال البحري مادحاً احمد البربير :

لولا فضائل احمد قصت لنا فيها وفي آياتها الاخبارُ
وكذاك لولا المعجزات فلم تكن حجّت لكعبة فضله الافكارُ

فاجابهُ احمد البربير :

ارى الفاضل البحريَّ احيا بفضله معالم ابيات درسنَ من الشعر
ولا غرو ان حاز الفنون باسرها على المثل المشهور حدّث عن البحر

وقال ايضاً :

لقد انس البحريَّ بري واهلهُ فاسمعتهُ عذري ولم اهدهِ شعري
فان لم يكن درّاً فذاك نقيصة وان كان درّاً كيف يهدى الى البحر

وبعث السيد عبد اللطيف بن علي افندي المفتي الحنفي المكنى فتح الله وكان من تلامذة احمد البربير الى ميخائيل البحري يمدحهُ بهذين البيتين:

ولمّا اتى البحريُّ بيروتَ زائرًا الينا فكم اهدى عقودًا من الشعرِ
فلا بدعَ ان اهدى لنا الدرَّ ناظماً فناهيك انّ الدرَّ يبدو من البحرِ

فاجاب البحري بهذه الابيات يمدح بها احمد البربير :

ولستُ بمنسوبٍ لبحرٍ ترونهُ فايُّ افتخارٍ لي بذاك وما تدري
ولكنني مذ شاهدتُ بحرَ فضائلٍ غرقت بهِ حتى نُسبت الى البحرِ
ولا تعجبوا مني لمشتقي فكم صبا لاحمدَ من زيدٍ سوايَ ومن عمرِو

وقال ايضاً يمدحهُ ويمدح تلميذهُ السيد عبد اللطيف:

ولمّا اتاني الشعر يا غايةَ المُنى من الدرّ منظوماً لقد حرتُ في امري

وفاح لنا نشر المعاني كأنَّما ... سرت من صبا نجدٍ بهِ نفحة النشرِ
فحلّيتُ فيهِ جيد فكري لانني ... ارى العبد حلّى عاطل الجيد بالدرّ
وهمتُ بمعنى جنت فيهِ ملخصاً ... لنا حسن ما ابديتَ من رقّة الفكرِ
وقلت اذا الرحمنُ خصّص عبدهُ ... بألطافهِ أجلى لهُ خافيَ السرّ
صبوت لكم مذ شمتُ بارق فضلكم ... وما ملتُ قلباً نحو زيدٍ ولا عمرِو
وحسبك مجداً مع فخار بما اكتنى ... ابوك بهِ من آية الفتح والنصر
وما نال من سرّ الامام وقدرهِ ... بنسبتهِ فيهِ وما فيهِ من برّ
ومن أروت العزّاء اصلَ فروعهِ ... فكم اثمرت تلك الفروع من الفخر
وكم نلتَ بالبربير اسمى فضيلة ... وفضل وآداب وكم حزتَ من قدرِ
امام ولم يبدُ الزمان مضارعاً ... لهُ لا ولا القى كاحمد في دهري
جنيت ثمار الفضل من دوح علمهِ ... فجاء بمنظوم الفرائد والنثرِ
واسكرني رشف الحميّا بلفظهِ ... وحتّك حتى الدهر لم أصحُ من سكري
فيا لك تلميذاً حوى الفضل والتقى ... بشيخ حوى التفضيل بالحمد والشكرِ

وقال ميخائيل معاتباً للسيد احمد وكان اعتذر بالمطر عن مواجهتهِ:

ما لي وللغيث ان سحّت سحائبهُ ... يوماً وأحيا ربيع الارض بالديمِ
ولم اجد منك اوقات الوصال ولم ... انزْ بدرّ حديث منك منتظمِ
أما علمتَ بوجدي فيك مع سقمي ... فيل ترى الصبر محموداً مع السقمِ
او ما كفى سيدي ما نلتُ في زمني ... من صرم ودّ ونقض العهد بالذممِ
فيا غياثي ويا سؤلي ويا املي ... ويا شفائي ويا ذخري ويا نعمي
أعد عليَّ اللقا حتى اذا نظرت ... عيني اليك نجا جسمي من الالمِ
كأنَّ وصلك رضواني نَعِمت بهِ ... والهجر لي مالكٌ افضى الى الضرمِ

فاجابهُ احمد البربير بهذه الابيات:

إِلْم أزرك فلي في البعد معذرةٌ ... مَن يقرب البحر في الانواء والديمِ
وحقّ عقد ولاء انهُ قسمٌ ... اذا حلفت بهِ من اعظم القسمِ
ان غبتَ عن ناظري لم تنأَ عن فكري ... او غبتَ عن يقظتي لم تنأَ في الحلمِ
وان ذكرتكَ في انس تتابع او ... في عابسٍ من وجوه الدهر محتدمِ

وردُ قلبي قديمٌ لا تغيرهُ حوادثٌ من صروف الدهر لم تدُمِ
فخذ ثناءك من ثغر الزهور فقد عجزتُ عن ان اؤدي حقَّهُ بفمي
واسلم ودم في نعيمٍ غير منصرم ما طاب ذكرك في بدءٍ ومختتمِ

ومن نظم ميخائيل البحري قولهُ يمدح ابا بكر اغا ميري زاده في حلب سنة ١٢٠٥ ﻫ (١٧٩١ م) وهي طويلة اقتطفنا منها ما يلي:

ماست بقدٍّ كالغصون تميَّدُ ورنت بطرفٍ كالظباء تَغيَّدُ
خودٌ غزت منّا القلوب لحاظُها فكأنها ضمن القلوب مهنَّدُ
حازت جمالًا ثمَّ حسنًا مثلما حاز السنا والحمد منَّا الاسعدُ
ذو المجد والعزّ الذي ساد الورى قدرًا وخُصَّ بهِ الندى والسؤددُ
ربُّ المحامد والمفاخر والبها الماجد ابنُ الاريحيّ السيّدُ
بحرٌ سريعٌ بالعطايا وافرٌ عَذُبت مناهلهُ وطاب الموردُ
لو قيس في مزن الغمام نوالهُ لرأيتهُ من كفِّهِ يتعوَّدُ
مولًى رقى اسمى العلاء منازلًا ومحلُّهُ فوق السماك مشيَّدُ
مولًى لهُ البأس الشديد وهمَّةٌ تعلو ورأيٌ بالامور مسدَّدُ
يزري بسحبان البلاغة منطقًا ولهُ ابن اوس بالفصاحة يشهدُ
لو ان تجسَّم لفظهُ لوجدتهُ درًّا باجياد الحسان يُقلَّدُ
مولى تهلَّل وجههُ متبسِّمًا ان أَمَّ وفدٌ او اتى مستجدُ
ذو سطوةٍ عبسيَّةٍ ومكارمٍ طائيَّةٍ قد ضاق منها الفدفدُ
ورث الكرامة والدًا عن والدٍ ثمَّ الفخار وكلَّ فعلٍ يُحمدُ
احيا ربيع الفضل فيض سخائهِ مذ سحَّ من سحب اليدين العسجدُ
واعاد ذكر الاكرمين كأنَّما اضحى نداهُ مخبرًا ما السؤددُ
كرمت بهِ الايام ثمَّ بمثلهِ ضنَّت لذاك نظيرهُ لا يوجدُ
قل للذي قد رام حَصْرَ صفاتهِ يفنى الزمان ولا تزال تُعدَّدُ
من معشرٍ نسجت لهم ايدي الزما ن من المكارم حلَّةً تتجدَّدُ
يتسابقون الى النوال وايُّهم شاهدتهُ فذاك السبوق الاجودُ
افعالهم صحَّت فليس يعيبها ابدًا بنقص واعتلال مفسدُ

يا ابن الكرام اذا ذكرت صفاتكم ضاع الشذا من روضة تتأوّد
مولاي دونك بنت بحرٍ كامل بكرًا تشنف سمعنا اذ تنشد
وافت لتمهرها قبولك انا منك القبول اجلّ مهرٍ ينقد
لا زلت تسمو بالسعود وقدركم لا زال يخترق الغمام ويصعد
ما فاح مسكُ ختامها من مبتدٍ اضحى بمدح صفاتكم يتردّد

ولهُ تاريخ بميلاد خليل نجل الآغا الموما اليهِ سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩١ م)

بشراك بابنٍ بدا نجم السعود بهِ بديع حسنٍ زها بالحسن والفطره
باسم الخليل دعي كيما يكون لهُ حرزًا يقيهِ من الاسواء والعثره
طفل حكى البدر اشراقًا وطرف ظبي الست تنظر منهُ الجفن والفتره
كانهُ في محيا العزّ شامتهُ او منزل السعد مذ ارّختهُ غرّه

٤

هذا ما امكننا جمعهُ من اخبار ميخائيل البحري وشعرهِ المطبوع فعسى ان يسعد الحظّ احد ابناء طائفتهِ الملكيَّة او أُسرتهِ الفاضلة على ان يكتشف بقيَّة ديوانهِ المفقود ويزيدنا علمًا من اخبارهِ السارّة

وكان لميخائيل ثلاثة اولاد عبود وجرمانوس وحنَّا وكلهم اشتهروا بعد ابيهم لكنَّهُ لم يبلغ احد منهم ما بلغهُ عبود. قال الامير حيدر الشهابي في تاريخهِ عنهُ: «كان عبود من الكتبة العظام ذا فطنةٍ وفهمٍ تامّ وقد خدم الوزراء في ايامهِ. وارتقى الى أعلى رتبة من مقامهِ. وكان ذا خطّ مليح (١. وبيان فصيح. حتى فاق مَن تقدَّمهُ من كتَّاب الدواوين في الحساب والانشاء. وكان يكتب في لغات كثيرة باحسن نصّ واقرب عبارة وقد فاق اباهُ بجميع الصفات. الَّا انّ اباهُ كان اجود قريحة في فنّ الشعر والنظم»

وخدم المعلم عبود اوَّلًا ابرهيم باشا اوزون قطر اغاسي حلب لمَّا حضر الى الشام وتولى ايالة صيداء بعدَّة حصار عكَّا. واخذهُ ابراهيم باشا بصحبتهِ الى الاوردي وبقي عندهُ الى ان رجع الى حلب وخلفهُ سليمان باشا في ايالة صيداء. فرحل المعلم عبود الى

١) ومما افادنا سيادة الحبر المفضال المطران ملاتيوس فكّاك انّ المعلم عبود اكتسب شهرة عظيمة بالخط حتَّى ضُرب المثل بخطّهِ فقيل: خطّ عبوديّ. وقرأنا في تاريخ سليمان باشا للمعلّم ابراهيم عورا ان احد علماء الاستانة حضر دمشق وطلب المعلم عبود البحري فلمَّا عرفهُ وتثبَّت خطَّهُ قال لهُ: احتفظ على خطّك فان ادباء الاستانة يتقلَّدون كتابتك

الشام وخدم عبد الله باشا العظم فتقدَّم عندهُ وصار من اخص اصدقائهِ. امَّا اخوهُ جرمانوس فخدم سليمان باشا في صيداء ودخل معهُ عكاء الى ان فُصل عن خدمتهِ بسعي المعلم حاييم فارحي اليهودي الذي كان من ألدّ اعداء بيت البحري. وبقي المعلّم عبُّود في ديوان الكتابة عند عبد الله باشا وزادت لديهِ كرامتهُ فاعلى مرتبتهُ وجعلهُ دفتردارًا « ديوان افنديسي » واستخدم اخويهِ جرمانوس وحنًّا وكلٌّ من وجد من عائلتهِ. وكانت سكنى بيت البحري في بيت قوتلي الحالي بقرب جامع صلاح الدين ومن اعمال عبُّود المشكورة انهُ سعى في تلك الاثناء مع اخيهِ حنًّا في بناء كنيسة دمشق لاهل ملّتهِ فنال مرغوبهُ

وفي سنة ١٢٢٣ هـ (١٨٠٨) صارت ايالة الشام الى يوسف أغا الكنج الكرديّ فحفظ المعلّم عبود البحري في رتبتهِ واحبَّهُ حبًّا شديدًا. وبلغ بهِ حبُّهُ نحوهُ الى ان عرض عليهِ الاسلام فأبى عبُّود ثمَّ خاف على دينهِ ففرَّ هاربًا من وجه الباشا. قال الامير حيدر: « والتجأ الى جبل الدروز مع اخوتهِ بجوار الامير بشير ». وقال المعلم ابراهيم عورا في تاريخ سليمان باشا: « انهُ هرب الى زحلة واستقام هناك وحرَّر عرَضًا الى الامير بشير وعرَّفهُ سبب هربهِ والتمس منهُ استجلاب عائلتهِ واخوتهِ ». وختم معروضهُ بقولهِ:

وكنتُ أُطالبُ الدنيا بوقتٍ فكان الوقتُ وقتَكَ والسلامُ

فاجاب الامير الى سؤلهِ. امَّا يوسف باشا فلمَّا بلغهُ فرار المعلّم عبُّود تأسَّف على ما فعل وارسل الى الامير بشير رُسُلًا يطلبون منهُ صاحب ديوانهِ ويطمّنون خاطر المعلّم عبود ففوَّض الامير بشير الامر الى مَن التجأ الى حمايتهِ. فأبى عبُّود ولزم مكانهُ وعاد الرسل خائبين. ولمَّا اخذت امور يوسف باشا تتضعضع بسبب غياب صاحب ديوانهِ ارسل ثانية اليهِ وفدًا يتعهَّد لهُ بالامان التامّ ان رجع الى الشام. وكفل لهُ بذلك كاخية الباشا والامير حسن اغا فقام ورجع الى سيّدهِ فرحَّب بهِ الباشا والبسهُ فروًا فاخرًا وردَّهُ الى مقامهِ الاول هو واخوتهُ

هذا وانَّ المعلم عبود البحري بعد عودهِ الى خدمة يوسف باشا الكنج لم يدم في رتبتهِ زمنًا طويلًا بل انتقل الى مصر بعد سنةٍ وحظي عند امرائها وصار كاتبًا في ديوان الوزراء (١٢٢٤ — ١٨٠٩) ودليلنا على ذلك موشَّح صنَّفهُ الشاعر نيقولا الترك في هذه السَّنة وارسلهُ الى بعض اصحابهِ في مصر كان من جملتهم عبود البحري والياس

صبّاغ الطيب وميخائيل كحيل الطيب. وفي هذا الموشّح يقول في مدح عبُّود:

كم تباهت دررُ البحري على كلّ ذي نظمٍ بديعٍ وثنا
وشدت من فوق اعلى الصُّحُف لا يُنبتُ الدرَّ السني الّا البحار
زُمَرُ الكتّاب طرًّا والملا من أولي الالباب توليهِ الوقار
كم تراهُ جاذبًا ان رقا معدن الارواح مثل المغنطيس
بل وكم يسبي عقولًا حينا يُظهر الآيات من فوق الطروس

واستمرَّ في منصبهِ هذا زمنًا طويلًا فخدم محمّدًا عليًّا وابنهُ ابراهيم باشا وصحب ابراهيم في حربهِ الشاميّة (سنة ١٨٣٢—١٨٤٠) ورجع معهُ الى مصر وفيها توفي نحو سنة ١٨٤٥ م

وقد شاد المعلم عبود البحري لذرّيتهِ ذكرًا مخلّدًا حتى اضحى بيت البحري موردًا للّهيف ومقصدًا لكلّ عانٍ وضعيف. واليهِ التجأ سنة ١٨٤٠ نصر الله الطرابلسي الشاعر الحلبي الذي سنفرد لهُ ان شاء الله مقالةً خصوصيّة. وقد نال عبود قبل وفاتهِ لقب بك هو واخوهُ حنّا. ولهُ انشاءات حسنة تدلُّ على براعتهِ وتفنّنهِ في الكتابة. لدينا منها بعض رسائل كتبها باسم سليمان باشا. ولولا ضيق المكان لاثبتنا منها شيئًا

امّا حنّا بك البحري فدونك ما أفادناهُ عنهُ سيادة المطران الجليل ملاتيوس فكّاك قال جزاهُ الله خيرًا: «ولد حنّا في حمص واقام في مصر وجاء الشام مع ابرهيم باشا وعاد معهُ الى الديار المصريّة. وكان متوسّط القامة ذا عمامة بيضاء ولم يكن بين النصارى من يتعمَّم بهذه العمامة غيرهُ وكان لهُ وجاهة عند حكّام مصر. وقد اظهر غيرة عظيمة لخير طائفتهِ لهُ في ذلك الايادي البيض فانهُ بواسطتهِ وبسعيهِ حصلت الطائفة على قطعة ارض من حارة القرائين لليهود في دمشق. وبعنايتهِ بُنيت الكنيسة الكاتدرائيّة في المحلة المذكورة. وقد وهب للكنيسة بيتهُ الذي كان لهُ في حمص وهو اليوم انطوش الروم الكاثوليك فيها (١. وقد خلّف في مصر اولادًا كثيرين اسماؤهم ميخائيل وسليم (والد احد الكهنة الافاضل في البلدة) وقسطنطين ونائلة وزبيدة ووردة وكثوب وهي لا تزال في قيد الحياة. امّا جرمانوس اخو عبُّود بك وحبيب بك فانهُ ولد حبيبًا البحري. وولد حبيب عبُّودًا (٢» انتهى

١) راجع الصفحة ١٢٦ من تاريخ الروم الكاثوليك الملكيين. وهو الذي ابتنى لطائفتهِ انطوشًا في طرابلس ٢) توفي عبود هذا السنة الماضية

العجلات المتحرّكة او الاوتوموبيل

للاب موريس كولنجت مدرس الطبيعيات في مكتبنا الطبي

الاوتوموبيل لفظة حديثة اعجميّة يُراد بها العجلات التي لا تحرّكها قوّة خارجة عنها كالخيل مثلاً بل يدفعها جهاز داخلي من البخار او غيره وهي تسير في الطرق العموميّة لا تحتاج لسيرها الى اسلاك الحديد

ما كاد المحدثون يقفون على سرّ البخار وعجيب قوّته حتى فكّر ارباب الصنائع في إبدال عمل الانسان واشغال الحيوان الشاقّة بالقوى التي اودعها الله في الكائنات واكتشفها علماء الطبيعيّات والكيميا. وكان من جملة اختباراتهم ان اتّخذوا المركبات المتحرّكة لنقل الاثقال وقد رأينا بالعيان منذ نحو ثلاثين سنة بعضاً من هذه العجلات جارية في الشوارع وهي تجرّ وراءها غيرها من المركبات المختلفة. لكنّ هذه الآلات لحدوث نشأتها كانت وتتنذر ضخمة بطيئة السير تخدّ الارض وتفسد الطرق حيثما جرت

امّا اليوم فقد بالغ مجهّزو هذه العجلات في تحسينها بل عُقدت لذلك الجمعيّات وأُنشئت الشركات وجرت السباقات واقيمت المعارض وخُطّت الصحائف وتعدّدت الآلات والموادّ المولّدة للحركة. ولاستيفاء الموضوع ها نحن نقسم كلامنا في العجلات المتحرّكة الى قسمين نبحث في الاول عن المحرّك وفي الثاني عن العجلة المتحرّكة

١ محرّك الاوتوموبيل

لا بدّ لكلّ متحرك من محرّك يدفعهُ. ويقتضي في الاوتوموبيل ان تكون الحركة المتولّدة فيه نظاميّة في ذهابها وايابها بحيث يمكن إبدالها بحركة استداريّة لدفع دواليب العجلة. والحركة النظاميّة المذكورة يُمكن الحصول عليها بتخلخل البخار او احد الغازات المائعة او بالاهتزازات الكهربائيّة جذباً ودفعاً. وينبغي علاوة على ذلك ان يكون الجهاز المولد للحركة خفيفاً لطيناً سهل التدبير تخلو مزاولته من الخطر

١° تحريك الاوتوموبيل بالبخار. من خواصّ بخار الماء انّهُ يولّد حركة متساوية وانّهُ خلوٌ من كل خطر. وهو مع ذلك شديد القوّة كما تشهد عليهِ الادوات البخاريّة المستعملة في سكك الحديد والسفن الكبرى. لكنّ الجهاز البخاري كثير اللبكة لا بُدّ لهُ من فحم وماء وعامل لتدبيرهِ. ولذلك لا يحبّ اصحاب العجلات

المتحركة استعماله وانما يقتصرون على اتخاذه في بعض الاحيان فقط

٢ً تحريك الاوتوموبيل بالهواء المضغوط . وذلك بان يُضغط الهواء في بعض المعامل ويُجعل في اوعية اسطوانية الشكل يأخذها اصحاب العجلات . فاذا ارادوا تحريك مركبتهم أجروا الهواء المضغوط في قساطل تنتهي الى مدك يدفع العجلة غير ان النتائج الاقتصادية الناجمة عن هذه الادوات لم تكن مرضية وزد على ذلك انها مابكة تشغل مكاناً واسعاً . وفي هذه المدة الاخيرة عاد الاميركيون الى استعمالها

٣ً التحريك بالغازات المتفجرة . اخصّ هذه الغازات الكحول والاسيتيلين والبترول فاذا اخذت منها مزيجاً مناسباً كبخار البترول والهواء مثلاً ووضعته في اسطوانة مفرغة ذات مدك انفجر المزيج انفجاراً خفيفاً ونتج من اتقاده تخلخل يضغط المدك ويحركه. هذا وان الاختبارات لا تزال جارية لتحسين هذه المحركات النازية . واستعمال الاسيتيلين لا يخلو من الخطر اما الكحول فهو غالي الثمن . ولعلّ المستقبل يفضي الى نتائج راضية من هذا القبيل كما ترى في المحرك التالي

٤ً التحريك بالبترول . للبترول مزايا حسنة تشفع في بعض خلله . ولذلك قد شاع الآن استعماله في الاوتوموبيل . والمحرك منه يتركب من جهاز صغير يُدعى وعاء الكربور (carburateur) يمتزج فيه الهواء بكمية من بخار البترول وذلك بنظام معلوم يسهل ادراكه لانّ البترول اذا كان قليلاً غير وافر بالغاية لم يحصل الانفجار واذا زادت كميته تأخر انفجاره اتسخت الاسطوانة وكثر الدخان . ثمّ يُنفذ المزيج السابق ذكره في الاسطوانة مجتازاً بلياة او مصراع (soupape) ويوقد المزيج في الاسطوانة بشرارة كهربائية او حديدة محماة فينفجر الغاز ويدفع المصراع فتتقد شرارة ثانية وهلمّ جرّاً . ولكن هذه الانفجارات المتوالية تحمي الاسطوانة وتوسعها فلا بدّ لتدارك هذا الخلل من دهنها بالزيت وتبريدها ببخار من الهواء او الماء . وفي هذه الآلة كما في غيرها يتحرك قضيب المدك ذهاباً واياباً وتُبدل هذه الحركة بحركة مستديرة تُجاز الى دواليب العجلة

وادوات البترول المحركة رشيقة خفيفة ومنها ما لا يتجاوز ثقله ٢٥ كيلوغراماً . وهي لا تحتاج الى كثير من البترول . فانّ بعضها لا تفني في الساعة ازيد من لتر واحد (اقلّ من ثمنية) . بيد انهُ يسمع لهذا الجهاز صوت كالتفتفة فدُعيت لذلك عجلاته بالتُّفتف (teuf-teuf) . ومن معايبه انّ دخانهُ كريه الرائحة واتقادهُ في بعض الأحيان

مستصعب او غير متواصل فتختلف سرعة العجلات وربما توقفت في وسط الطرق ولا تعود الى سيرها دون ان يكتشف الخلل فيُتدارك. ويكثر اهتزاز هذه العجلات فتزعج راكبها ما لم يُتقن صنعها. وهذه النقائص يجدُّ اصحاب الاوتوموبيل في اصلاحها. وعلى كل حال فانَّ سيرها حثيث تقطع في بعض الاحيان نحو خمسين كيلومترًا ليس في السكك المستقيمة فقط بل في الطرق المتصاعدة ايضًا

٥ المحرك الكهربائي. يختلف هذا المحرك عن كل الآلات السابق وصفها. وتجهيزهُ مبنيٌّ على مبدإٍ شائع في الطبيعيات وهو «انَّهُ في الآلات المولّدة للكهرباء بحركتها (dynamos) اذا دارت ملفّات الاسلاك المندرجة (bobines de fil induit) في وسط ملفّات أُخر تشملها (bobines de fil inducteur) نجم فيها مجرًى كهربائي بمجرد دورانها. وبعكس ذلك اذا جرى مجرًى كهربائيٌّ في الملفّات الشاملة رأيت ملفّات الاسلاك المندرجة تدور وتقوم بدورانها مقام المحرّك. وعلى هذا النمط يجوز ان تجعل هذه الآلات كلها كمحركات كهربائيّة. ولكن اذا اتّخذت لهذه الغاية لا بدَّ ان يُراعى فيها مصطنعها بعض الشروط وفقًا للمقصود. فمن ذلك ان يُجعل للخوذي مِقبض او مفتاح يحرّكهُ بيدهِ فيجمع بين الملفّات او يفصل بينها كما شاء. ليزيد سرعة العجلة او يخففها. فممّا تقدّم يلوح انَّ جهاز المحرك للاوتوموبيل الكهربائي يتركّب من بطاريّة ذات خوازن كهربائيّة (accumulateurs) ومن آلة صغيرة من المحركات الكهربائيّة الموصوفة آنفًا تجري فيها الحركة من محور مانيها المندرج الى دواليب العجلات

وللمحرك الكهربائي الموصوف فضلٌ كبير على ما سواهُ فيه تلين حركة العجلات عند مباشرة السير ويسهل تنظيم سرعتها وضبط اعنّتها ومنع جعجعتها وزد على ذلك انهُ لا يستنشق من هذه العجلات رائحة كريهة وانَّ سرعتها تبلغ فوق المئة كيلومتر في الساعة. على ان الادوات الخازنة للكهرباء. وصحائفها الرصاصيّة ثقيلة يبلغ وزنها ٤٠٠ كيلوغرام للعجلة الواحدة. واذا خلت كهربائيّتها لا بدَّ من آلة مولّدة للكهرباء لتعبيتها وتحريك الاوتوموبيل وهذا امرٌ شاقٌّ في بعض البلاد تندر فيها هذه الآلات الديناميّة

هذا ما يختصُّ بالمحرك الكهربائي. والخوذي هو الذي يتولّى تدبير المحرّك وذلك بمفاتيح (manettes) يبرمها فيدير حركة عجلته كما يشاء. و يوقفها عند اللزوم بلا عناء.



٣ عجلات الاوتوموبيل

كلُّ العجلات على اختلاف صورها وهيئاتها سواء كانت بدولابين او اكثر تصلح لان تُجعل من الاوتوموبيل. وذلك بوضع جهاز من المحركات الموصوفة سابقًا لتنظيم كلّ ضروب المركبات

١ً الدراجات ذات الدولابين. قد اتخذوا لها البترول محركًا. فاذا اراد الراكب ان يستريح حتى في الاماكن المنحنية ضغط مدكًا يُجعل تحت مقعدهِ فتنتظم بذلك حركة الدرَّاجة او تتوقَّف على حسب مرادهِ على انَّ الحاذقين من ركّاب الدرَّاجات يأبون استعمال هذا المحرّك ويزعمون انَّهُ يزيد ثقل الدرَّاجة دون طائل كبير. امَّا غيرهم فيثنون على استعمالهِ وسرعة الدراجة المجهَّزة بهِ وهوادة سعرهِ الذي لا يبلغ الف فرنك

٢ً الدرَّاجة المثلَّثة الدواليب. لهـذه الدراجات مقعد او مقعدان وتجهيزها بمحرّك البترول شائع لهُ فوائد ظاهرة. وربَّما أُلحقت هذه الدرَّاجات بعجلة صغيرة ذات دولابين يجلس فيها الراكب اذا اراد فيسوق كحوذيّ مركبتهُ بيد انَّ روائح البترول تجعل هذا المقعد مزعجًا. فتلافيًا هذا الخلل قد جعلوا هذه العجلة نفسها من الاوتوموبيل. وهي عبارة عن مركبة صغرى رشيقة البناء جميلة المنظر يُجعل لها دولابان الى اربعة دواليب وسعرها من الفين الى ثلاثة آلاف فرنك يحسُن التنزُّه بها

٣ً عجلات السير. هذه العجلات عديدة الاشكال ولها اسماء شتى فمنها

للمتنزهات ومنها للمتاجرات ومنها حوافل(omnibus) تتخذها كلُّ عائلة لحسابها · وفي بدء السنة المنصرمة عمّ استعمالها .فصار الحوذيون انفسهم ينقلون الركاب في باريس على عجلات الاوتوموبيل المجهّزة بمحرّك كهربائي · وقد عُقدت في باريس شركة لذلك فبنى اصحابها مصنعاً كبيرًا لتوليد الكهرباء وتعبئة خوازن كهربائية (accumulateurs) لمائتي عجلة · وللحوذيين قرب هذا المصنع مضمارٌ يتمرّنون فيه على تسيير عجلاتهم قبل ان يباشروا مهنتهم في السكك العموميّة ولا يُسمح لهم ان يتجاوزوا سرعة ١٦ كيلومترًا في الساعة · وفي الميدان المذكور وهاد وتلّات وطلّامات ليعتاد الحوذيون غلب كلّ الموانع

٤ عجلات الاحمال · تُتخذ لها ايضًا محركاتٌ من الهواء المضغوط او الكهرباء فتجدي لاصحابها منافع ادوات البخار في السكك الحديدية بل ويجوز ان تُعدّ ادوات السكك الحديديّة نفسها في جملة الاوتوموبيل

٥ عجلات الاوتوموبيل الحربيّة · قد اتُّخذت هذه العجلات اقتصادًا للخيل وهي تصحب العساكر وتنقل لهم اثقالهم ومؤنهم بسرعة تفوق سرعة الخيل

٦ المراكب البحريّة · ليست المراكب البحريّة غير عجلات الاوتوموبيل مبنيّة وفقًا لمبدإها بيد انها تمخر البحار وتُسيّرها البخار في عباب المياه · وقد حاول البعض ان يتّخذوا البترول بدلًا من الفحم ولعلّهم يفلحون في اختباراتهم · ويجوز ان يُلحق باوتوموبيل البحر القوارب البخاريّة والسُّفن الصغرى المتحركة بالبترول او الكهرباء

فمنا تقدم يظهر لكل العيان ان فنّ الاوتوموبيل اتّسع في ايّامنا اتساعًا بليغًا · ولا نشك في ان اهل بلادنا السوريّة يستعينون في اشغالهم الخاصّة ولوازمهم العموميّة بهذه الوسائل الجديدة التي تكرّم بها الخالق نحو عبادهِ تسهيلًا لامورهم وتوفيرًا لاوقاتهم اذ يمكن التجّار مثلًا ان يقطعوا بساعتين على عجلة من الاوتوموبيل المسافة الفاصلة بيروت من دمشق فيسبقوا السكّة الحديدية بخمس ساعات · وهذه لعمري فائدة كبرى تضاف الى فوائد اخرى لا حاجة الى تعدادها · على اننا لا ننكر ان ركوب الجياد المطهّمة والسير في عجلات يجرُّها الاصيل من الخيل احسن وقعًا في الخواطر وابهى منظرًا من مركبة تجري بمحرّك باطن ولكن اليوم صار الفضل للسابق ولا سبق لمن لا يتّخذ اسرع الوسائل واخفّها

كتاب مكارم الاخلاق

لابي منصور الثعالبيّ برّد الله مضجعهُ
تولّى نشرهُ الاب لويس شيخو اليسوعي

توطئة

انّ بين كتب مكتبتنا الشرقية مجموعاً نفيساً يرتقي عهدهُ الى القرن الثامن للهجرة والرابع عشر للمسيح وهو يشتمل على ثماني عشرة رسالة منها فلسفية لابن سيناء والفارابي وابن الايلاقي ومنها مذهبية لابن العربيّ او ادبية للامام عليّ وللثعالبي فاخترنا من هذا المجموع رسالة قصيرة لم تُنشر بعد بالطبع وهي لابي منصور عبد الملك بن اسمٰعيل الثعالبي النيسابوري صاحب فقه اللغة المشهور (١ المتوفى سنة ٤٢٩ ﻫ (١٠٣٧م)

والرسالة المذكورة تدعى: «مكارم الاخلاق» لم نجد لها ذكرًا في كتاب كشف الظنون للحاج خليفة ولا في احد فهارس المكاتب الاوربية. فزادنا ذلك رغبةً في نشرها لئلَّا تأخذها يد الضياع. وهي عبارة عن ثمانية ابواب قصيرة اودعها صاحبها حكماً بلينة مسجَّعة في حسن سياسة النفس فترفُّها الى قرَّائنا في بدء هذه السنة كريمةً يجتلون معانيها ويستمرئون مجانيها

بسم الله الرحمن الرحيم وبهِ نستعين

امّا بعد فان احقّ كلامٍ نطق بهِ لسان. وأعرب بهِ بيان. وانطوى عليهِ كتاب. وانتهى اليهِ خطاب. ما زاد قوَّة البصيرة. وعاد بصحَّة السريرة. فطرّق طرائقَ العدل. وبيَّن حقائق الفضل. فصار تذكرةً للاخيار. ومزجرةً للاشرار. وإماماً للعمَّال. وقواماً لاكثر الاعمال. ترجع اليهِ السياسة. وتُبنى عليهِ الرئاسة. وتنتظم بهِ الاسباب. وتجتمع بهِ الآداب. فان الادب ادبان ادب شريعة وأدب سياسة فأدب الشريعة ما أدَّى الى قضاء الفرض. وأدبُ السياسة ما اعان على عمارة الارض. وكلاهما يرجعان الى العدل الذي بهِ سلامة السلطان. وعمارة البلدان. وصلاح الرعيَّة. وكمال المزيَّة. لان من ترك الفرض ظلم نفسهُ ومن ظلم نفسهُ كان لغيرهِ اظلم ومن خرب الارض ظلم غيرهُ. قال الحكيم: بالعدل ثبات الاشياء وبالجور زوالها. وقال ايضاً: من ظلم نفسهُ كان لغيرهِ أظلم. ومن هدم دينهُ كان لمجدهِ اهدم. وقال ابن المقفَّع: خير الادب ما حصل لك نفعهُ. وظهر عليك اثرهُ. وقد جمعنا في كتابنا (58 *) هذا الفاظاً

١) راجع ترجمتهُ في صدر فقه اللغة المطبوع في مطبعتنا (ص ٥) * صفحة كتابنا المخطوط

وجيزة اجريناها مجرى الامثال . وفصولًا قصيرة لاجل الفضل والكمال . وقصدنا فيها أَفْنَاءُ وجه الاختصار . وكُنه الاقتصار . ليقلّ لفظهُ . ويسهل حفظهُ . واستعنّا بالله في ما صنّفناهُ وهو حسبنا ونعم الوكيل . وهذا ثبت الابواب . التي يشتمل عليها الكتاب . وهي ثمانية : (الباب الاوّل) في ما يستعان بهِ على العقل والعلم . (الباب الثاني) في ما يُستعان بهِ على الزهد والعبادة . (الباب الثالث) في ما يُستعان بهِ على ادب اللسان . (الباب الرابع) في الاستعانة على ادب النفس . (الباب الخامس) في الاستعانة على مكارم الاخلاق . (الباب السادس) في الاستعانة على حسن السيرة . (الباب السابع) في الاستعانة على حسن السياسة . (الباب الثامن) في الاستعانة على حسن البلاغة

* الباب الاول في ما يُستعان بهِ على العقل والعلم *

العلم احسن حِلْيَة . والعقل افضل قِنية : العلم أفضل خلَف . والعمل بهِ اكمل شرف : لا سمير كالعلم . ولا ظهير كالحلم : لا سيف كالحقّ . ولا عون كالصدق : عالم معاند . خير من جاهل مساعد : اذا قلّت العقول . كثرت الفضول : لا سائس مثل العقل . ولا حارس مثل الفضل . ولا حافظ مثل العدل : الجاهل يطلب المال . والعاقل يطلب الكمال : نظر العاقل بقلبهِ وخاطرهِ . ونظر الجاهل بعينهِ وناظرهِ : العلم كنزٌ عظيم لا يفنى . والعقل ثوبٌ جديد لا يبلى : كلُّ خير يُنال بالطلب . ويُزاد بالادب : كم من عزيز اذلّهُ جهلهُ . وكم من ذليل اعزّهُ عقلهُ . العلم بغير عمل ضلال . والعمل بغير علم وبال : الادب مال . واستعمالهُ كمال : عداوة العاقل . خير من صداقة الجاهل : منع الكريم . افضل من بذل اللئيم : بالحلم يُقطع كلُّ شرّ : وبالعلم يُصلح كلُّ امر : العاقل من عقلهُ في إرشاد . ورأيهُ في إنداد . فقولهُ شديد . وفعلهُ حميد : والجاهل مَن جهلهُ في اغواء . ومن هواهُ في اغراء . فقولهُ سقيم . وفعلهُ ذميم (٥٨٧)

* الباب الثاني في الاستعانة على الزهد والعبادة *

مَن قنع بالرزق . استغنى عن الخلق : ومَن رضي بالمقدور . قنع بالميسور : من رضيَ بالقضاء . صبر على البلاء : مَن عمّر دنياهُ . ضيَّع مالهُ . ومَن عمّر آخرتهُ بلغ آمالهُ : مَن حاسب نفسهُ سلم . ومَن حفظ دينهُ غنم : الصبر يُعزّ الفقير . والطمع يذلّ الامير : مَن اتّقى الله وقاهُ . ومن اعتصم بهِ نجّاهُ : القناعة عزّ المعسر . والصدقة كنز الموسر : مَن صبر نال المُنى . ومن شكر حصّن النُّعمى . قوّة اليقين . من صحة الدين : الرّضا بالكفاف .

يا ابن الكرام اذا ذكرتُ صفاتكم ضاع الشذا من روضة تتأوَّدُ
مولاي دونك بنت بحرٍ كامل بكرًا تشنّف سمعنا اذ تُنشدُ
وافت لتمهرها قبولك انا منك القبول اجلّ مهرٍ ينقدُ
لا زلت تسمو بالسعود وقدركم لا زال يخترق الغمام ويصعدُ
ما فاح مسكُ ختامها من مبتدٍ اضحى بمدح صفاتكم يتردَّدُ

ولهُ تاريخ بميلاد خليل نجل الاغا المومأ اليهِ سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩١ م)

بشراك بابنٍ بدا نجم السعود بهِ بديع حسنٍ زها بالحسن والفطره
باسم الخليل دعي كيما يكون لهُ حرزًا يقيهِ من الاسواء والعثره
طفلٌ حكى البدر اشراقًا وطرف ظبي الست تنظر منهُ الجفن والفتره
كانهُ في محيا العزّ شامتهُ او منزل السعد مذ ارَّختهُ غرّه

٤

هذا ما امكننا جمعهُ من اخبار ميخائيل البحري وشعرهِ المطبوع فعسى ان يسعد الحظّ احد ابناء طائفتهِ الملكيَّة او أُسرتهِ الفاضلة على ان يكتشف بقيَّة ديوانهِ المفقود ويزيدنا علمًا من اخبارهِ السارَّة

وكان لميخائيل ثلاثة اولاد عبُّود وجرمانوس وحنَّا وكلهم اشتهروا بعد ابيهم لكنَّهُ لم يبلغ احد منهم ما بلغهُ عبود. قال الامير حيدر الشهابي في تاريخهِ عنهُ: «كان عبُّود من الكتبَة العظام ذا فطنةٍ وفهمٍ تامّ وقد خدم الوزراء في ايامهِ. وارتقى الى أعلى رتبةٍ من مقامهِ. وكان ذا خطّ مليح (١. وبيان فصيح. حتى فاق مَن تقدَّمهُ من كتَّاب الدواوين في الحساب والانشاء. وكان يكتب في لغات كثيرة باحسن نصّ واقرب عبارة وقد فاق اباهُ بجميع الصفات. الَّا انَّ اباهُ كان اجود قريحة في فنّ الشعر والنظم»

وخدم المعلّم عبُّود اوَّلًا ابرهيم باشا اوزون قطر اغاسي حلب لمَّا حضر الى الشام وتولى ايالة صيداء بمدَّة حصار عكَّا. واخذهُ ابراهيم باشا بصحبتهِ الى الاوردي وبقي عندهُ الى ان رجع الى حلب وخلفهُ سليمان باشا في ايالة صيداء. فرحل المعلم عبُّود الى

١) ومما افادنا سيادة الحبر المفضال المطران ملاتيوس فكاك انَّ المعلم عبود اكتسب شهرة عظيمة بالخط حتَّى ضُرب المثل بخطّهِ فقيل: خطّ عبّوديّ. وقرأنا في تاريخ سليمان باشا للمعلّم ابراهيم عورا ان احد علماء الاستانة حضر دمشق وطلب المعلم عبُّود البحري فلمَّا عرفهُ وتثبَّت خطَّهُ قال لهُ: احتفظ على خطّك فان ادباء الاستانة يتقلَّدون كتابتك

اصطناع الارذال (الأراذل): ما عزّ من ذلّ جيرانهُ. وما سعد من شقي اخوانهُ: من أعزّ فلسهُ. اذلّ نفسهُ: من ادام الشكر. استدام البرّ: اجلُّ النوال. ما حصل قبل السؤال: احسن المقال. ما صدّق حسن الفعال: من منع العطاء. مُنع الشفاء: اخلاص التوبة تُسقط العقوبة. واحسان النيّة توجب المثوبة: مَن منّ بمعروفهِ سقط شكرهُ. ومن أُعجب بعملهِ. حبط اجرهُ. من بخل على نفسهِ بخيرهِ. لم يَجُد بهِ على غيرهِ

* الباب السادس في الاستانة على حسن السيرة *

بالراعي تُصلح الرعيّة. وبالعدل تملك البريّة: مَن عدل في سلطانهِ. استغنى عن اخوانهِ. أقرب الاشياء صرعة الظلوم. وانفذ السهام دعوة المظلوم: من ساءت سيرتهُ لم يأمن ابدًا. ومن حسنت طريقتهُ لم يخف ابدًا: من انتقم اجتلب البلاء: ومن احتسب اكتسب الثناء: من احسن فبنفسهِ بدا. ومَن اساء فعلى نفسهِ جنا: مَن طال تعدّيهِ. كثر اعاديهِ: مَن حفر حفرًا لاخيهِ. كان حتفهُ فيهِ: مَن جار حكمهُ. اهلكهُ ظلمهُ: من خادع الله خُدع. ومَن صارع الحقّ صُرع: مَن احبّ نفسهُ فليحبّ الانام. ومن رحم ولدتهُ فليرحم الايتام (٧٩)

* الباب السابع في الاستانة على حسن السياسة *

آفة الرعيّة مفارقة الطاعة. وآفة الزعماء ضعف السياسة. وآفة العلماء حبّ الرئاسة. وآفة القضاة شدّة الطمع. وآفة العدول قلّة الورع. وآفة العدل مَيل الولاة. وآفة المذنب سوء الظنّ: من سالم الناس سلم. ومن قدّم الخير غنم: من لزم الرقاد. مُنع المراد: من دام كسلهُ. خاب املهُ: من فعل ما شاء. لقي ما ساء. من استعان بذوي العقول. فاز بنيل المراد: من استشار ذوي الالباب. سلك سبيل الصواب

* الباب الثامن في الاستانة على حسن البلاغة *

من وثق بالله اغناهُ وتمّت معرفتهُ. ومن توكل على الله كفاهُ وبهِ قلّت مخافتهُ: الصدق رأس الدين. والزهد اساس اليقين. والتقوى خير زاد. والدين اقوى عماد: الطاعة اوفى حرز. والقناعة ابقى عزّ: اذا حلّت المقادير. ضلّت التدابير: الكلام المهذّب. كالحسام المذرّب: الجوع خيرٌ من الخنوع: ذكر السلطان نار. وذمّ الاخوان عار: اذا ملك الارذال. هلك الافاضل. اذا تغافل اهل التفضّل. هلك اهل التجمّل: من عجز عن الاحسان. ثقُل على الاخوان — تمّ مكارم الاخلاق والحمد لله والصلاة على رسولهِ محمّد وآلهِ وحسبنا الله ونعم المعين

قراءة بعض الكتابات الشرقية وتفسيرها

للاب س. رترڤال اليسوعي

وردت الينا من جهات مختلفة بعض كتابات شرقية معظمها عربيَّة فبادرنا الى نشر قسم منها في هذه المجالة تتحف بها قراءنا الافاضل فلعلَّهم يدركون منها فوائد تاريخيَّة وادبيَّة فضلًا عمَّا يجدونهُ من ارتياض الذهن وتفكّه الخاطر ولا بدَّ لنا قبل المباشرة من قضاء فروض الشكران الجميل لحضرات مرسليها فان تلك الآثار بعض اهميَّة كما سترى وفي نشرها خدمة للوطن والعلم

الكتابة الاولى (راجع الصورة ١)

هي اقدم الكتابات التي نريد نشرها في هذه المقالة . وقد اتتنا منذ بضعة ايام من قِبل حضرة سليم افندي الطحيني وكيل سراية بيت الدين من اهالي دير القمر . ورسمها مأخوذ(١ عن حجر ضريح (طولهُ نحو ٦٦ سنتيمترًا في عرض ٤١ س) وهو موجود الآن في دار مركز متصرفيَّة لبنان الجليلة . فالظاهر ان الحجر نُقل الى بيت الدين من جوار البلدة . ومع ذلك لم يقدر احد ان يدلّنا على مكانها الاصلي(٢ . ومضمون الكتابة كما يلي جعلنا فيها ارقامًا للدلالة على ترتيب الاسطر الاصليَّة:

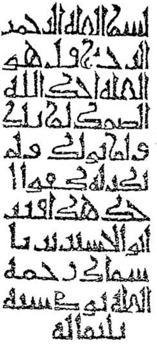
١ً بسم الله الرحمن ٢ً الرحيم قل هو ٣ً الله احد الله ٤ً الصمد لم يلد
٥ً ولم يولد ولم ٦ً يكن لهُ كفوءًا ا ٧ً حدٌ (٣ هذا قبر ٨ً ابو (كذا)
الحسين بن ما ٩ً سهاك (؟) رحمهُ ١٠ً الله توفي سنة ١١ً ثلثمائة

فترى ان لا صعوبة في قراءة هذه الكتابة اللهمَّ الّا في آخر السطر الثامن وافتتاح السطر التاسع حيث ورد اسم ابي المتوفى . فلذا لم نتجاسر على وضع نقط احرفهِ(٤ . بيد ان المرجح ان هذا الاسم غير عربي بل تركي فتكون صورتهُ مثل باشهاك او باشهاد او باسهاك او ما يشبه ذلك(٥ ولا غرو فان بني طولون وهم اتراك الاصل قد احتلوا الشام في مطاوي القرن الثالث للهجرة

---

١) اعلم ان هذا الرسم وان لم يكن من النوع الذي يقال لهُ في لسان الفرنج (estampage) (اي طَبْع او خَتْم وسيأتي الكلام على ذلك) بل كان مأخوذًا رأسًا عن الحجر بعد تسويدهِ بالحبر فهو مع ذلك جيّد مُتقن. فنهنئ جناب المرسل بما بذل من الاعتناء في اخذهِ

٢) وهذا ممَّا يؤسف له وان كانت الكتابة كاملة الاحرف وواضحة المعنى . ففي المستقبل نرجو من مراسلينا الكرام ألّا يألوا جهدًا في معرفة كل ما يؤول الى تعيين خواصّ الكتابات التي يتكرمون بارسالها الينا ٣) سورة الاخلاص بتمامها ٤) وهذا يكون دأبنا فيما بعد كلما عثرنا على لفظةٍ لم يسعدنا الحظ على استخراج معناها ٥) قابل صورة اسماء بايكباك . بايندر . بايزيد . باشباي . بشتاك وغيرها



صورة الكتابة الاولى

ولم تبطل دولتهم الّا في اواخر ذلك القرن. فيكون اذًا ابو الحسين من بقايا هذه الدولة في جبل لبنان. وان صحّ استنتاجنا هذا فهو شاهد مفيدٌ على ما طرأ على قوم لبنان الجنوبي من اختلاط الدماء في ممرّ الدهور

امّا الغلط الواقع في السطر الثامن « ابو » عِوَض « ابي » فمن يد الناقش ومثل هذه الاغلاط ليست بنادرة في الكتابات العربيّة فضلًا عن الكتب الخطيّة (١

ولهذه الكتابة اهميّة معتبرة في ضبط تاريخ الخطّ العربي فانها لحسن الحظ مؤرخة لا شك في زمن نقشها. واليك ايضاح الامر على غاية ما نجد الى الاختصار سبيلًا فنقول: ان العلامة ڤان بركم جامع الكتابات العربيّة المشهور لم يعثر حتى سنة ١٨٩٧ على كتابة بخطّ كوفي مذيَّل(٢ ككتابتنا هذه يرتقي عهدها الى ما فوق اوائل القرن الرابع للهجرة. ومن ثمّ اثبت في عدّة مواضع من تآليفه انّ الكوفيّ المذيَّل لم يظهر في بلاد

---

١) مثال ذلك : « ابي » عِوَضًا عن « ابو » وهو كثير الورود (راجع مجموع الكتابات العربيّة للعلّامة ڤان بركم CIA (Corpus Inscriptionum Arabicarum) n°ˢ 13,100,45. وفي تأليف المركيز دي ڤوكويه Syric Centrale, pl. XVIII : « اللهمّ اغفر لمحمَّد بن الوليد وادخلهُ برحمتك في عبادك « الصالحون ». وايضًا « لم يخشا » عِوَضًا عن « لم يخشَ » (في كتابتنا الثانية) و « التجى وأعلَا » والصواب « التجأ وأعلى » (CIA, n°ˢ 41, 32) وكذلك « في سنة تسعة » (N° 41) و « في سنة احد » (n° 92) الخ

٢) قد قسم العلّامة المذكور الخطوط العربيّة الواردة في الكتابات (لا في المصحف) الى اقسام شتّى فسمّى اولها Coufique simple اي الكوفي البسيط الذي لا زينة لهُ. والثاني C. fleuri (carmatique) اي الكوفي المزهر ونحن نسمّيهِ « المُذَيَّل ». والثالث C. décoratif اي المزيّن ونحن نسمّيهِ « المزدان ». والرابع النسخي وهو يتفرّع الى نسخي ايوبي ومملوكي وعثماني الخ (راجع CIA, p. 8)

مصر والشام وغيرها الّا في ممرّ القرن الرابع(١. على ان كتابتنا تضطرنا اليوم الى القول بان الكوفيّ المذيّل الشامي يرتقي زمن اختراعه حتى الى منتصف القرن الثالث للهجرة لا في هذه الكتابة الجليلة من حسن الخطّ واتقان النقش. وهذا كما لا يخفى يدلّ صريحًا على طول مزاولة ارباب الصناعة للخط الذي نحن بصدده

وعلاوة على ذلك قد ارتأى ايضًا العلامة نفسهُ (٢ ان الكوفي المذيّل دخل مصر من جهة الغرب اي من بلاد تونس التي منها خرج الفاطميون. ولكن أفيجوز اليوم مثل هذا القول دون زيادة ولا تفسير بعد اكتشاف كتابتنا في لبنان ؟ وما ادراك ما على قمم هذا الجبل او في بقاع سوريّة من الآثار الخفيّة المدفونة التي لا بدَّ للعالم من معرفتها قبل الاتيان بمثل هذه الاستنتاجات العامّة ؟ وما يزيدنا ثقةً في انَّ موسيو ڤان بركم يغيّر رأيه بعض التغيير ما نعرفهُ يقينًا من دخول الخطّ النسخي الايوبي في بلاد مصر. فان هذا الخط قد ظهر في سوريّة قبل ان يمتدّ الى الاصقاع المصريّة في القرن السادس للهجرة (٣ فتأمل

الكتابة الثانية (راجع الصورة ٢ وهي رسم شمسيّ)

قد اهداها الينا حضرة الاب لامنس اليسوعي بعد سفره الى جهات حمص. ولهُ في قراءتها وتفسيرها بعض ملاحظات مفيدة ادرجناها في هذه النبذة. وحضرتهُ اخذ هذه الكتابة بالرسم الشمسي في قرية جوسية التي موقعها جنوبي شرقي حمص على ست ساعات منها ونحو نصف الساعة من ربّة على شاطئ نهر العاصي. وسنرجع الى اخبار جوسية بعد تفسيرنا للكتابة. وفي هذه القرية بقايا جامع قد طمسهُ الدهر اللهم الّا مأذنتهُ المربّعة الشكل ومحرابهُ(٤. وفوق المحراب الكتابة وهي ذات اربعة اسطر بخط نسخي مملوكي جيد النقش حسن المنظر يبلغ كبر حروفه الناتئة نحو ١٠ سنتيمترات وكانت

---

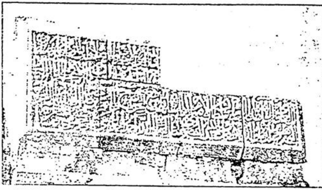
١) طالع (J. A., 1891² p. 72-3) و CIA, pp. 8, 85,39,

٢) طالع النصوص المشار اليها آنفًا و J. A. 1891² p. 73

٣) راجع (Van Berchem : *Inscript. arab. de Syrie*, p. 450) ولسنا ندوّن هذه الاعتراضات وغيرها رغبةً في حطّ شأن ذلك العلّامة الفائق الشهرة في كل ما يختصّ بالكتابات العربيّة بل لمجرّد اظهار الحقيقة وتحريض مواطنينا على بذل المجهود وراء هذه الابحاث العلميّة التي لم تبلغ في بلادنا الدرجة التي ادركتها في الديار الاوربيّة .

٤) و بين البقايا بعض طلول دارسة تدلّ على ان الجامع قد بُني على كنيسة مهدومة.

هذه الكتابة اصلًا على ثمانية حجار فُقد منهـا حجران. بيد ان مضمونهما سهل القرآءة (١ ودونك النصّ الكامل:



صورة الكتابة الثانية عن رسم شمسيّ

١ً [بسم الله الرحمن الرحيم انما يعمر مساجد الله من آمن با] لله واليوم الآخر واقام الصلاة واتى الزكاة ولم يخشا (كذا) ٢ً [الّا الله فعسى اولائك ان يكونوا من المهتدين (٢ امر بعمارة هذا الجا] مع المبارك مولانا السلطان الاعظم الملك العاد ٣ً ل النازي المجاهد المرابط سلطان الاسلام والمسلمين قامع الخوارج والمتمرّدين صاحب القبلتين خادم الحرمين ٤ً الشريفين زين الدنيا والدين كتبنا بن عبد الله المنصوري في نظر الفقير الى الله احمد بن الحمد الحنفي في شهور سنة خمس وتسعين وستمائة

ملاحظات: (سطر ١ و ٢). ما تراهُ بين معكّفين غير وارد في الكتابة لذهاب حجر بن الّا ان وجوده قبلًا حقيقة لا شكّ فيها (٣. وهنا ايضًا غلط وهو « ولم يخشا » وقد مرّت الاشارة اليهِ. وانما فضّلنا لفظة « عمارة » على لفظتَي « انشاء » و « تجديد » لان السلطان كتبنا لم

---

١) ممّا يزيد هذا الاثر اهميّةً ان الكتابات التاريخية على المحاريب عزيزة الوجود فان العلّامة فان بركم لم يعثر الّا على واحدة منها في القاهرة (CIA, n° 12). واعلم ان موسيو دوسو (Dussaud) قد اخذ هو ايضًا كتابتنا هذه (طالع Triparadisos, extr., 1898, p. 8) فارسل رسمها الشمسي الى العلّامة المذكور. الّا انهُ لم ينشرها بعدُ على ما نظنّ. وعلى كل حال ففي اشهار الكتابات من جهتين مختلفتين فائدة بيّنة لاتقان قراءتها

٢) سورة التوبة : ٩

٣) راجع CIA, n° 10, 11. واعلم انّنا تبعًا لعادة المستشرقين في مثل هذه الظروف قد استعملنا هذه العلامة [ ] كلّما استتجنا قراءةً ما استنتاجًا اكيدًا رغمًا عن سقوطها من

علك وقتاً كافياً لبناء جامع كامل كما سيأتي. ومماَّ ينفي ايضاً معنى الانشاء ان كلمة « جامع » لا مرية في قراءتها في السطر الثاني والحال ان اسم الجامع لم يأتِ في القرن الذي عاش فيهِ كتبغا الّا دلالةً على البنايات الكبرى بينما كانت لفظة « مسجد » مقصورة على الاشارة الى المصلّيات الصُّغرى(١ = (سطر ٢ و ٣) كل هذه النصات السلطانية معروفة من عدَّة كتابات مملوكيَّة أُخرى. ومعنى « المجاهد والمرابط » مأخوذ من القرآن. والمراد « بالقبلتين » قبلتا مكَّة والقدس و « بالحرمين » حرما المدينة ومكّة. ولا حاجة الى الاسهاب في تفسير هذه المعاني الواضحة لقرَّائنا الشرقيين (٢. = (سطر ٤) لم يسعدنا الحظ بمعرفة اخبار احمد بن الحمد المذكور بعد السلطان. والمرجَّح عندنا انهُ لم يكن من عظماء الدولة بل من الامراء الصغار او قاضياً من القضاة او ناظر املاك جوسية الذي تولّى عمارة الجامع(٣

واماَّ السلطان كتبغا فهو مشهور في تواريخ المماليك ولا بدَّ لنا من ايراد مختصر اخباره لبيان اهميَّة كتابتنا. قال المقريزي في الخطط (٢:٢٣٩) عند كلامهِ على السلطان الملك الناصر محمّد بن قلاون (٤: « اقيم هذا السلطان بعد اخيهِ وعمره سبع سنين وقام الامير زين الدين كتبغا بتدبيرهِ ثمَّ خلعهُ بعد سنة تنقص ثلاثة ايَّام وقام من بعدهِ (السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا (٥ احد مماليك المنصور قلاون(٦ وجلس على التخت بقلعة الجبل في يوم الاربعاء حادي عشر المحرم سنة اربع وتسعين [وستمائة] (٧ وتلقب بالملك العادل فكانت ايامهُ شرَّ ايام لما فيها من قصور مدّ النيل

---

١) طالع CIA, pp. 29, 172 و Inscript. Arab. Syr. p. 504 الكتابة التي بين ايدينا

٢) راجع CIA, n° 82, 46 وفيهِ تجد ايضاً ان عبارة « الدنيا والدين » في الكتابات المملوكيَّة انما اقتُصر استعمالها على السلاطين الاعظمين

٣) لا نجهل ان قولنا هذا لا يوافق تماماً راي العلّامة فان بركم وقد اراد ان يبرهن انَّ بين عبارة « في نظر » و « على يَد او يَدَيْ » فرقاً معتبرًا في الاصطلاحات الديوانيَّة وان العبارة الاولى اعلى درجةٍ من الثانية. (راجع CIA, pp. 84, 134). غير ان ما يصحّ قولهُ في اصطلاحات الدولة الايوبيَّة وغيرها ربَّما لم يصحّ تماماً في اصطلاحات دولة المماليك لا سيما في كتابات الشام. (قابل CIA n° 20, 53 وتأمّل). وعلى كلّ حال فمثل هذه الاستنتاجات لا تُقبل كقواعد مطَّردة ما دام مجهولًا القسم الاكبر من الكتابات الشاميَّة والعراقيَّة

٤) او قلاوون كما ورد مرارًا في الكتابات المصريَّة وفي تاريخ ابي الفداء (طبعة القسطنطينية)

٥) وفي كتابتنا « زين الدنيا والدين» وقد مرَّ بيانهُ. وفيها ايضاً ان كتبغا هو ابن عبد الله. لكن ذلك ليس بدليل قطعيّ على ان اسم ابيهِ كان عبد الله فان المماليك كثيرًا ما تسمَّوا بهذه التسمية لعدم معرفتهم بنسبهم (طالع CIA, p. 84)

٦) هو السلطان المنصور سيف الدين قلاوون (٦٧٨ – ٦٨٩ هـ ١٢٧٩ – ١٢٩٠ م) (طالع تاريخ ابي الفداء ٤:٥١) وبهِ تلقَّب كتبغا بالمنصوريّ

٧) راجع ايضاً ابا الفداء ٤:٢٢–٢٢ وتاريخ بيروت لصالح

وغلاء الاسعار (١ وكثرة الوباء في الناس الخ ... وقال ابو الفداء في تاريخه (٢: ٣٥): «وفيها (اي سنة ٦٩٥). في شوال خرج الملك العادل كتبغا من الديار المصرية وسار الى الشام ووصل الى دمشق... ثمَّ سار من دمشق الى جهة حمص وسار الى البرّيّة متصيّداً ووصل الى حمص وقدم الى جوسية وهي قرية على درب بعلبك من حمص (٣ وكانت خراباً فاشتراها و «عمرها» فوصل اليها ورآها ثمَّ عاد الى دمشق الخ(٤». ولم يستمر كتبنا على سرير الملك زمناً طويلًا بل «قام عليه نائبهُ الامير حسام الدين لاجين وهو عائد من دمشق بمنزلة العرجاء في يوم الاثنين ٢٨ محرم سنة ٦٩٦ ففرَّ الى دمشق واستولى لاجين على الامر فكانت مدّتهُ سنتين و ١٧ يوماً (٤»

ولا حاجة بعد تدوين هذه الاخبار الى تنبيه افكار قرّائنا الافاضل على عظم اهمّيّة الكتابات القديمة في اثبات حقيقة نقل المؤرخين ومماً يزيد كتابة جوسية فائدة

ابن يحيى (ص ١٧٤) يعلم القراء ان ابا الفداء اقدم عهداً من المقريزي (راجع مجاني الادب ٥ ص ٢٦٤–٢٩٥) وانهُ معاصر كتبنا

١) راجع ايضاً خطط المقريزي ٢: ٢٦٦ عند كلامهِ على سبب ضياع كتب المدرسة الفاضلية في القاهرة

٢) راجع ايضاً تقويم البلدان لابي الفداء (طبعة رينو ص ٤٩) ومعجم البلدان لياقوت ٢: ١٥٤

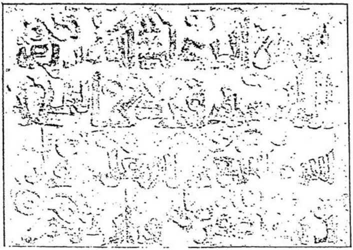
٣) وجوسية هذه غير جوسية الخراب او القديمة التي ترى بقاياها جنوبي شرقي جوسية الجديدة. قال ياقوت في معجم البلدان (٢: ٦٤٥) دير باعنتل من جوسية على اقلّ من ميل وجوسية من اعمال حمص على مرحلةٍ منها من طريق دمشق وهو (اي الدير) على يسار القاصد لدمشق وفيهِ عجائب منها آزج ابواب فيها صور الانبياء محفورة منقوشة فيها وهيكل مفروش بالمرمر لا تستقرّ عليهِ القدم وصورة مريم في حائط منتصبة كلما ملت الى ناحية كانت عينها اليك». ولا شك ان موقع دير باعنتل يوافق موافقةً تامَّةً موقع جوسية الخراب الحاليَّة اذ يعاين فيها المسافر بقايا كنيسة او دير قديم. وكنّا قد الّفنا مقالة مطوّلة في هذا الموضوع اذ اشار الينا حضرة الاب لامنس الى نبذة مسيو دوسو المارّ ذكرها. والمؤلف قد سبقنا واثبت فيها ان مدينة Paradisos او Triparadisos المشهورة في تواريخ خلفاء الاسكندر انما هي جوسية الجديدة لا جوسية القديمة ولا ربلة. (راجع *Palestine under the Moslems* Guy le Strange: ومع ذلك قابل Palmer, PEFQ 1871, 113 و Furrer, ZDPV, 1885, 16 و Van Kasteren, S.J.: *La Frontière Septentrionale de la Terre promise*, 1895, 11-12.

٤) عن المقريزي (خطط ٢: ٢٢٩). طالع تاريخ المماليك للمؤلف نفسه (Quatremère II, 239...,) وفيهِ تفاصيل مطوّلة في ملك كتبنا وكذا في تاريخ ابي الفداء (٢٥٤–٥١) وقد اسهب المقال في اخبار كتبنا بعد خلعهِ ووصف الحروب التي سار اليها بصحبتهِ

ان السلطان كتبغا (على ما نظن) لم يبقِ في القاهرة آثاراً تُذكر سوى قسمٍ من بناء المدرسة الناصريّة (١

الكتابة الثالثة (راجع الصورة ٣)

هي ايضاً من هدايا حضرة الاب لامنس وقد دلّهُ عليها في بعلبكَّ سيادة الحبر الجليل اغابيوس معلوف مطران بعلبك الجزيل الاحترام وهي على قطعة حجرٍ (٢ فلم يقتصر الاب الُهمام على اخذها بالرسم الشمسي بل اضاف اليهِ صورتها الطبيعيَّة (estampage) على الورق النشاف. وهذه الكتابة غير سهلة القراءة في بعض المواضع فضلاً عن أنَّها غير كاملة. واليك ما امكنَنا ان نقرأ فيها واعلم ان صورتنا الثالثة مأخوذة عن الطبع لا عن الرسم الشمسيّ :



صورة الكتابة الثالثة

حسين ابن عليّ . . . (؟) رضي ٢ّ الله عنهُ في ذي الحَجّ [ة] ٣ّ سنة سبع وسبعين وار[بعمائة] ٤ّ ربِّ اغفر لهُ وارحم

---

١) راجع المقريزي خطط٢ : ٢٨٢ والقلقشندي (Wüstenfeld. p. 138) و CIA, n° 100 وقد طالعنا تواريخ ابن اياس وكتاب الانتصار لابن دقماق (٤ و ٥) فلم نجد في تآليفهما شيئاً يدلنا على ان كتبغا بنى غير المدرسة الناصرية ٢) طول الكتابة ٢٢ س وعرضها نحو ٣٠ س

ملاحظات: الحروف كما ترى ناتئة وكوفيّة مذيَّلة او مزدانة لانها مزخرفة للغاية وفي خلال الاسطر نقوش غيرها تختلط بالاحرف حتى انهُ لولا رسم الطبع المذكور لما قدرنا على استخراج معاني الكتابة: — قراءة « حسين الخ » اكيدة الّا الكلمة التالية. ورأينا انها ايضاً اسم لا فعل. فانَّهُ لمَّا كانت هذه الكتابة ضريحيَّة كالاولى نظنّ انّها كانت تبتدئ بمثل هذه العبارة: « (البسملة... تُوفي .... حسين بن علي الخ. — واما السنة (اي ٤٧٢) فلا شك فيها لان صورة حروف السين في التاريخ كغيرها من سينات الكتابة فلا يجوز ان تقرأ سنة تسع وتسعين (١

وليس لهذه الكتابة من اهمّيَّة سوى تاريخها وتنسيق نقشها (ستأتي البقية)

السفر العَجب الى بلاد الذهب

للاب ايل رينو اليسوعي (تابع لما سبق)

القسم الثالث

في الكفَّارة

الفصل الاول

في سان ميشل

من زار مصب نهر يوكون يشاهد بلدة صغيرة وحقيرة تدعى سان ميشل بناها بالاخشاب تجار الفراء الذين كانوا يقصدون تلك النواحي لصيد كلاب الماء والقاقم والسَّمُّور. فهناك صنعت يد الطبيعة مرفأً طبيعيًّا ماقيةً في وسط اليمّ المحيط جزيرة من المقذوفات البركانيَّة مساحتها ٣٠٠ كيلومتر مربَّع تحبس الطين والصلصال الذي تجرُّهُ مياه النهر دائمًا الى البحر وتقف في الوقت نفسهِ حاجزًا دون الارياح الآتية من العباب وقد تكوَّن كما تقدَّم ذكرهُ مرسى واسع من افضل المرامي التي تحط فيها السفن الكبيرة حتى انَّ الجغرافيين يشبّهونهُ بمرسى الاسكندريَّة ولكنهُ اذا حاكاهُ في امنهِ ورحبهِ فمن اين لهُ ان يماثلهُ في ما يتوارد اليهِ من البضائع والسلع

١) وهذا يبيّن ايضاً من وجه اخر فان صورة الاحرف من الطرز الكوفي الفاطمي وورود اسمي حسين وعلي دليل واضح على مذهب المتوفّى. واما وجود الالف في كلمة « ابن » في بعض الكتابات فامر مشهور

على ان هذه البلدة الحقيرة التي لم يكن يعرفها غير تجار الفراء وصيادي الحيتان ما عتمت ان صارت الى حالة جديدة وأخذت تحطّ فيها يومياً بواخر كثيرة ناقلةً اليها عدداً وافراً من المسافرين الذين بلغ من تسابقهم اليها انهم كانوا يبتاعون ورقة السفر بمبالغ الفٍ وخمسمائة دولار مع انها لا تكلف عادة اكثر من مئة وخمسين دولاراً. وهذا ما حمل البعض على القول بان هذه البلدة ستكتسب في مستقبل الايام تقدماً عظيماً

ومهما يكن من قولهم هذا فان المسألة التي اصبحت اليوم شغل الافكار هي وسائط الاتصال بين الشاطئ وتلك الاراضي البعيدة التي يُستخرج منها الذهب. لانهُ اذا كانت الطريق من مضيق « شيلكوت » اقرب من سواها فهي مع ذلك محفوفة بالمخاطر والمصاعب الكثيرة نظراً لما فيها من المعابر الشاقة السلوك والمهاوي العميقة التي لا يدرك لها قرار

واما الطريق من سان ميشل صعوداً في نهر يوكون (الذي يُحسب من اعظم انهر الدنيا لان مسافة مجراه تزيد على ٣٢٩٠ كيلومتراً كما انهُ يصبّ في البحر نحواً من ٢٣ الف متر مكعّب) فهي طويلة ولا تخلو ايضاً من المخاطر اوّلا لانهُ لا يمكن سلوكها الّا في فصل الصيف الذي يزول فيه الجمد من النهر وثانياً لانهُ اذا كان صالحاً لسير السفن في قسمه الأدنى فهو لا يصلح لذلك في القسم الاعلى ولذلك يتعيّن على المسافرين ان يتركوهُ ويعانوا السفر الطويل في البرّ

ولقد طالما جال بافكار الكثيرين ان ينشئوا هناك سكّة حديديّة توصل الى بلاد الذهب. وقام في أفكار آخرين ان يصنعوا مناطيد سهلة الانقياد تنقل طلّاب المعدن الثمين الى حيث يرومون دون تعرُّض للاخطار. لكن بين الفكر والعمل بوناً بعيداً وعلى كل حال سيرينا المستقبل اي شيء يتمُّ من هذه الافكار

وكانت في اليوم السابق قد أُنزلت في نهر يوكون قوارب عديدة حقيرة يتولى قيادتها جماعة من الهنود وكان في القارب الاخير منها رجل ممتقع اللون عريض الكتفين مستوي القفا. وكان منظرهُ يدلّ على ان الافكار تنازعتهُ والهموم ركبتهُ وقد لحظ فيه الهنود الحاذقون انّهُ كان يرتعد خوفاً كلّما حدثت حركة قويّة في القارب وبعد ذلك يعود الى نفسه متفرّساً فيهم ليعلم هل دروا بما بدا منهُ

على انّ الهنود كانوا قد شاهدوا قوماً كثيرين مختلفي اللغات والبلدان ممّن يقصدون

بلاد الذهب. ولذلك لم يكونوا لينتبهوا الى منظر هذا الغريب الذي استأجرهم. بل غاية ما يشتهون هو ان يدفع لهم المبلغ المتفق عليه مقابل اتعابهم في نقله. امَّا اسم فاضل او نسيب فلم يطرق قط آذانهم. وانما كان همهم نقل اثقال الغرباء على مجرى نهر يوكون او تستأجرهم الاقفال كادلًا . ومن ثمَّ لم يعلموا من امور المدنين شيئًا فلم يبحثوا عمَّا طرأ على المسافر المذكور وما سبب خوفه. امَّا اهل مدينة داقسون فما كانوا ليهتمُّوا بموت احد الفعلة وهم يرون كلَّ يوم الوفا من المدنين يدخلون بلدتهم رغبةً في الاصفر الرنان فنهم من يفلح ومنهم يكدح دون جدوى او يموت مجهولًا فيدفن تحت الجمد لا يرثي لحاله بشر ولا يبكيه صديق او يقيم كاهن على قبره الصلاة

وليس في تلك البلاد القاصية حكومة منتظمةٌ وانَّما ينتقم كلُّ شخص لنفسه اذا ما ظلمهُ احد نعم ان الولايات المتحدة قد جعلت منذ سنوات قليلة بعض مناظرين يتولون تدبير الامور لكنَّ عدد الشرط لا يفي بالامر فيغضُّون النظر عمَّا يقع هناك من الآثام والفظائع

وعليه فان فاضلًا تخوَّف ممَّا كان لنسيب من السطوة والنفوذ لدى المدنين فلم يأمن على نفسه من الموت شنقًا ومن ذهاب دمه هدرًا فاسرع وسبق عدوَّهُ واذاق نسيبًا حسرات المنون. ثمَّ اخذ يبحث عن وسائل النجاة لئلا يشتهر امرهُ ويأخذ احد اصحاب نسيب بثأر صديقهِ

فخرج في الليلة نفسها منسابًا بين اكواخ المدنين متسترًا بالظلمة الدامسة غير انَّ ضميرهُ كان يزجرهُ ويوبِّخهُ عن فعله الذميم ويتوعَّدهُ بالعقاب العاجل

فلمَّا بلغ نهر يوكن ركب طوفًا وجدهُ على وشك السير في مياه النهر وتباعد بعد قليل عن تلك الاراضي الملعونة التي لم يشاهد فيها غير المحن والآثام. وكان الطوف يجري جريًا حثيثًا لشدَّة سورة الماء فيصدم تارةً الصخور الناتئة ويلاقي تارةً جذورَ الاشجار او اغصانها المتحطِّمة. وفي بعض الاحيان كانت تموُّجات النهر تدور بالطوف وتقلبهُ فيضطرّ الركاب الى النزول الى ضفَّة النهر ليتداركوا حالهم ويصلحوا مركبهم

وبعد تسع ساعات من اتعاب ومشقات كثيرة بلغ الهنود بطوفهم الى الرأس المعروف برأس القنافذ (Porcupine) وهناك النهر اتسع اتساعًا عظيمًا فيمرّ بين صخور وجُزُر صغيرة جميلة المنظر لولا انها كثيرة المعاطب. فمرَّ الهنود بين هذه العوائق بحذاقة عجيبة طُبعوا عليها من صغرهم

ثمَّ يعود النهر فيجري في مضايق من الصخور مزبدًا ويسمع خريره صوت يصم الآذان وهناك يزيد الخطر على الاطواف لانَّ تيَّار المياه يتلاعب بها ويميل بها الآذان ذات اليمين وذات الشمال ويغرّقها مرةً ويقلبها أُخرى. وكم تلف في هذا المضيق من النفوس وتحطَّم من المراكب الَّا انَّ الحظ اسعد المذود هذه المرة فتمكَّنوا بجذفهم من سورة النهر وقطعوا ذلك المعبر الخطر ووصلوا الى بطائح خضراء ذات اشجار باسقة ورياض بهجة وثمار يانعة يتلطَّف فيها البرد وتحسن بها السكنى

فتنفَّس فاضل عند وصوله الى تلك النواحي كأنهُ سُرّي عنهُ وأُرخي خناقهُ ولم تمرَّ عليهِ بضع ساعات حتى رأى مدينة سان ميشل فهنَّأ نفسهُ بالخلاص. كيف لا وهنا لا احد يعرفهُ ولا يرى في يديهِ آثار دم خصمهِ نسيب. ولا تدركهُ حكومةٌ بشريَّة.. وها هوذا سيسعى بنشاط جديد وينكبُّ على التجارة لعلَّهُ يحصل من المال ما حالت الاقدار دون بلوغهِ في داوسون... غير ان وخز ضميرهِ كان لم يزل يبكّتهُ ويريهِ إلهًا عادلًا لا يترك الاثم بلا عقاب (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

النبراس لسامع القدّاس

بحسب الطقس اليوناني

وضعهُ وعُني بطبعهِ خليل افندي البدوي صاحب جريدة الاحوال (ص ٣٥٠)

غاية المؤلف في وضع هذا الكتاب ان يسهّل على المؤمنين من الطقس اليوناني الاشتراك مع الكاهن في وقت الذبيحة الالهيَّة ويقرّب اليهم ادراك الصلوات والطلبات التي تتلى في الحفلات البيعيَّة ولذلك ضمَّن مجموعهُ ما خلا قداسي يوحنَّا فم الذهب وباسيليوس وخدمة البروجيازمانات توابع عديدة لخدمة القداس وصلوات شتى تقويَّة للآباء القديسين. ولهذا الكتاب قسمٌ آخر بالفرنسيَّة يشتمل على ترجمة القداس للخوري نيراي (Néret) يليها عدَّة صلوات لاقتبال الاسرار المواظبة على الحياة التقويَّة وفي صدر هذا القسم مقدَّمة افرنسيَّة لم نستصوب بعض مزاعمها. ومع هذا فاننا نحضّ المؤمنين من الروم الكاثوليك الملكيين بل كلَّ من يُعنى بمعرفة الطقوس الشرقيَّة على اقتناء هذا الكتاب واقتباس فوائدهِ الجمَّة

كتاب التحفة الادبيَّة في القراءة العربيَّة

جمعهُ القس بطرس الجديدي الانطونياني (ص ٨٦)

تعدَّدت في هذه السنين الاخيرة كتب القراءة لفائدة الاحداث وهذا دليل على نموّ المدارس وعدد الدارسين. ومن مزايا هذا المجموع الجديد انَّ صاحبهُ الفاضل اودعهُ في ابواب ثلاثة وفصول عديدة شيئاً كثيراً ممَّا يُقتضى على الصغار معرفتهُ لاداء واجباتهم نحو الخالق عزَّ وجلَّ ثمَّ نحو القريب وآخراً نحو نفوسهم. والكتاب مضبوط بالشكل الكامل وقف على ضبطهِ المعلم البارع رشيد افندي الشرتوني. وقد وقع في طبعهِ بعض اغلاط يسهل اصلاحها على القارئ اللبيب وهو مع ذلك يحتاج الى فهرس في آخرهِ

درجات الانشاء

الدرجة الثانية . كتاب التلميذ (ص ١٨٦) كتاب المعلم (ص ٢٧٦)

للمعلم نجيب افندي حبيقه مدرّس البيان في كليَّة القديس يوسف

سبق في المشرق (٢ : ٨١٢) وصف الدرجة الاولى من هذا الكتاب الذي توخَّى فيهِ صاحبهُ الاديب طريقة جديدة لتمرين الاحداث على اساليب الانشاء. وفي هذه الدرجة الثانية ابواب عديدة تمكّن الطلبة على انتقاء الالفاظ واستعمال المرادفات واشتقاق المفردات وضمّها الى ما يناسبها مع ما يقتضيهِ تنقيح الجمل وترتيبها. وكلّ ذلك على نمطٍ يُوفّر للتلامذة اسباب الفائدة بطريقة اللذَّة . وقد استحسنَّا غاية الاستحسان ابوابهُ الثلاثة الاخيرة في الروايات والرسائل والتعريب لكثرة عوائدها وحسن انتخاب مواضيعها وتمهيدها لاحداث الطلبة مسالك الكتابة .

شذرات

❀ اخطأت الضياء الخرزة ❀ اخطأتها مرَّةً اولى لمَّا نصب صاحبها نفسهُ لانتقاد ائمة اللغة كالحارث بن حلزَّة وعدي بن زيد والحريري ولسان الدين بن الخطيب بدعوى الغيرة على اللغة وتنزيهها من الفساد على ان انتقادهُ لم يكن الَّا تطاولاً على مشاهير الشُّعراء والكتبة. ولمَّا تصدَّى لاقاويل الشيخ قومٌ من الادباء الأثبات خام عن ترالهم او ردَّ ما استندوا اليهِ قولهم من الشَّواهد البيّنة والنصوص الواضحة لتخطئة مزاعمهِ لانها تخالف ما قرَّرهُ. ولولا ضيق المكان لاثبتنا شيئاً من مماحكات الشيخ

لبرى القرَّاء انَّ خطتهُ اليوم في المناقشات كخطتهِ سابقًا في معارضة الشدياق والشيخ يوسف الاسير والشيخ ابرهيم الاحدب وحضرة الامير شكيب افندي ارسلان وجناب الكاتب البارع رشيد افندي الشرتوني

ثمَّ أخطأت الضياء الحفرة ثانية اذ رأى صاحبها انَّ براهين أخصامهِ كصرحٍ منيع لا تعمل فيهِ مجانيق حججهِ فعدل عنهم وخصَّ ضمننا بانتقاده السامي ونوَّر اسمنا الحقير باثباتهِ في ضيائهِ اللامعة . فأخذ ينقّر في مجموعنا مجاني الادب ليُشير على رأس الملإ اغلاطنا الفاحشة . ويا ليتهُ اخذ طبعاتنا الاخيرة لأفادنا بذلك واكتسب شكرنا الّا انهُ كالذباب الذي لا يحطُّ على غير الجروح يسكت عن الحسنات ويتتبَّع الزلّات لينكأ ما نَدِب منها فوجد بعد اللتيَّا والتي نحوًا من عشرين تصحيفًا او غلطة طبع فاستكبر وعاذ بالله ونادى بالويل والثبور ولعمري لو عثر على عشرة اضعاف هذه الاغلاط لكان قليلًا بالنسبة الى كتاب يشتمل على اربعة آلاف صفحة جمعناهُ من نيِّف وثلاثمائة تأليف بين مخطوط ومطبوع واكثرها سقيم الطبع مُبهم الخطّ . وعليهِ فقد غضَّ الادباء عمَّا وقع فيهِ من الاغلاط القليلة لكثرة فوائدهِ ولو سردنا اسماء كلّ من استحسنوا هذا المجموع لطال بنا الكلام وانَّا نكتفي بذكر الامير عبد القادر الجزائري والسيد الجليل محمود حمزة مفتي الشام . هذا وكنَّا أغنانا من ايراد هذا الثناء على تآليفنا ونحن لم نطلب في تصنيفها غير وجه الله وخدمة المدارس لو لم يحوجنا الى ذلك الشيخ المنتقد علينا . قال الشاعر :

وعينُ الرضى عن كلّ عيبٍ كليلةٌ   كما انَّ عينَ السخط تبدي المساويا

وزد على ذلك أنَّا بيَّنَّا للشيخ بالبرهان انهُ هو المُخطئ في كثير من اصلاحاتهِ فلم يُجب حتى الآن على ردودنا لانَّ من فنونهِ في الجدال ان يضرب ويهرب

وأخطأت الضياء الحفرة ثالثةً اذ سعى صاحبها باصلاح كتابٍ آخر من تآليفنا وهو « علم الادب » الذي عمَّ اليوم استعمالهُ في المدارس بدلًا من الكتب الشائعة قبلهُ . فوجد الشيخ ثلاثة اغلاط في طبعتنا الاولى كأنَّهُ لا يعلم ان لهذا الكتاب اربع طبعات مصحَّحة موسَّعة فكفى بهذا التجاهل عارًا . ولا يبقى من ثمَّ حاجةٌ الى المناقشة . ويا ليت الشيخ عانى نشر قسمٍ صغير من مثل هذه التآليف لننظر درجة عصمتهِ من الغلط

بل اخطأت الضياء الحفرة رابعةً اذ نقَّر صاحبها في احدى مقالاتنا الاخيرة (المشرق ٢ : ١٠٠٩) عن البوبرس والترنسفال فاجالها في غرباله لعلَّهُ يلقى فيها شيئًا من

الحصى يحصينا به. وكان معظم خوفنا ان يجد خطأً في رسمنا لتلك البلاد او روايتنا لاحوال البوبرس وتواريخهم القديمة لكنهُ لمَّا رأى العجز في اصلاح الامور الجوهريَّة صرف ذهنهُ الى الانتقادات اللفظيَّة وشرع يُناقش على الكلمات والحركات فوجد ١ أننا اسأْنا باستعمال « فاز قصبة السبق » لان فعل « فاز » يتعدَّى بالباء. (جوابنا) انَّ فاز اتت ايضًا متعدّية بنفسها في كتاب الرحلة المغربيَّة لابي محمَّد العبدري (ص ٤٦) حيث قال: « امَّا القوت فيُتسبَّب فيه اذا كان صحيحًا وقلَّ ما يفوزه التسبُّب لكثرة الخلق ». وهب ان الأولى « فاز بالشيء » لا « فازهُ » أفلم يأتِ النصب بنزع الخافض في العربيَّة ؟ أو لم يقولوا « تمرّون الديار ولم تعوجوا ». واودعوه اللحدَ. ودخل البيتَ ؟ ولماذا حضرة الشيخ كتب في العدد الاخير من ضيائه (ص ٢٠٧): « وهو آخر ما أُشير في صدر التأليف » فبناء على ايّ مسوغ حذف المشار اليه ؟. ٢ بكّتنا في استعمال « آنات » كجمع لآن وقال: « انهُ لم يُسمع لهذا اللفظ جمعٌ فضلًا عن ان يجمع بالالف والتاء ». (جوابنا) انَّ قومًا من الثقات (كحضرة العلامة الشيخ محمَّد عبده وهو حجَّة في الكتابة) سبقونا الى استعمال هذا الجمع. وأحرِ بلفظة لم يُسمع لها جمعٌ ان تُجمع بالالف والتاء. ولو فتشنا في كلام الشيخ لوجدنا كثيرًا من الجموع التي لم ترد في اللغة واستعملها المولَّدون. وحسبك ان سيبويه جمع « اوان » على « اوانات » قالوا جمعهُ بالتاء حين لم يُكسَّر » فاذا جاز جمع « اوان » على « اوانات » فلماذا لا يجوز جمع آن على هذه الصورة ؟. ام يُحتج على سيبويه ان يأخذ اجازةً من صاحب الضياء في العربيَّة ؟ ٤ وخطَّأنا باستعمال « وديان » كجمع « وادٍ ». (جوابنا) انَّ الصرفيين ذكروا بين جموع « فاعل » وزن « فُعلان » كحائط حيطان. وان لم تكفِ الشيخ هذه القاعدة العموميَّة فليسمع قول ابن ابي خاوف الاندلسي من شعراء القرن التاسع للهجرة:

ودنوتُ ألثم كفَّهُ فرأيتُ كيفَ تفجَّر الخلجانُ والوديانُ

وعليه فقد اصاب المطران فرحات في قاموسه لمَّا اثبت « وديان » بين جموع وادٍ القياسيَّة. ٥ وخطَّأنا في قولنا « وحطَّت الحرب عن اوزارها ». (جوابنا) انَّ « عن » كثيرًا ما تأتي بمعنى « من » فاذا قيل « حطَّت عن اوزارها » او « من اوزارها » عاد المعنى الى قولهم حطَّت اوزارها. ٦ اما قولنا « يربي على الالف الف » (فجوابنا) ان مرتّب الحروف قدَّم كلمةً على اخرى فصفَّ سهوًا « الالف الف » عوضًا عن « الف

الالف » ومثل هذا الغلط في الطبع كثير. وفي العدد السادس من الضياء جرى تشويش كذا نبّه عليهِ الشيخ في عددهِ التالي . ٧ً وخطأ قولنا « بلغ السنّ الشرعيّ » (فجوابنا) انّ السنّ وردت بمعنى العمر والعرب كثيرًا ما يذكرون او يؤنثون الاسماء اعتبارًا بالرديف كما بيَّن ذلك الشيخ عبد الرحمن افندي سلام في ردودهِ على مزاعم صاحب الضياء. ٨ً وانكر علينا استعمال « استملاك » بدلًا من « تملك » مع ان الاستملاك من الالفاظ الشائعة والاوزان القياسيَّة. وقد طُبع كتاب باسم « قانون الاستملاك ».
٩ً اما انتقاده على قولنا « ويجمعون هذا الطائر عددا كبيرا ولا يصرفون عليها ». فجوابنا ان الضمير المؤنث عائد الى العدد الكبير الذي هو بمعنى الجماعة او الطير وكلّ منهما مؤنث. ١٠ً وتزييفهُ في ردنا ضمير العاقل لغير العاقل باطلٌ لان ذلك من الامور التي نبه على جوازها الثعالبي في اسرار العربية . فضلًا عن انهُ ورد في كلام الذين هم افصح من الشيخ. ١١ً ولم يصب في تخطئة قولنا « وهاك اليوم قد قامت الحرب » اذ لا مانع ان تكون « هاك » اسم فعل بمعنى « خذ » ومفعولها مضمر اي خذ هذا الامر الجليل وهو قيام الحرب . ١٢ً اما « فشول » فهي جمع فَشَل لا مفرد كما وهم الشيخ

هذه هي انتقادات « العلامة المحقق واللغوي المدقق » على مقالتنا. فايمُ الحق ما كنّا نظن ان بضاعة الشيخ خفيفة الى هذا الحدّ. فانهُ بانتقادهِ الباطل ابان لكل ذي بصر انّ للطبل رنّةً ولكن لا شحم فيهِ ولا دسم. هذا ونشير على صاحب الضياء ان يُبقي على عرضهِ ويدع هذه السفاسف ويشغل قرّاءه بما هو اهمّ وأفيد فيتطلب لهم المقالات المفيدة بدلًا من « الرجال المراضع » و« اسرار الكفّ » و« عقل الحيوان » و « السحر » وما شاكلها. وفي الختام نذكر صاحب الضياء بنصيحة كتبها العلامة الشهير والكاتب النحرير الشيخ ابراهيم اليازجيّ في احدى خطبهِ (ص٤) : « واحذركم الدعوى فانها آفة الفضل ومحلّ التنكير ولو كانت حقًّا وقد اعتادت النفوس ان تنفر منها وتبخس صاحبها من حقهِ (كذا) حتى لو كانت لهُ عشرة وادّعى عشرة اجتهدوا ان يجعلوها لهُ تسعة فما الظن بمن كانت لهُ عشرة وادّعى خمسين ». نعم القول وحبذا القائل. وهذا آخر كلامنا مع الضياء لئلا نُضيع وقتنا مع رجل يدّعي العصمة في كلّ ما يقول

* قديس جديد * هو القديس أبيول اكتشفهُ صاحب الهلال (ص ٥٢) في سجلّات اوسع

من كلّ سجلات القديسين التي في يدنا وعرف من امر هذا القديس « انّ الملك كلوفيس وضع باسمهِ وساماً يزعم الفرنسويون انه اقدم وسام » وغاية ما كنّا نعلم عن « القديس امبول » (la sainte ampoule) سوى كونها « قارورة الدهن » الذي بهِ مسح الملك كلوفيس فدُعيت بالمقدَّسة لانّ الفرنسويين يزعمون ان حمامةً اتت بها من السماء لمّا احتاج القديس رامي (Remi) الى دهن ليمسح الملك المتنصّر

✲ مؤتمر للآثار النصرانية القديمة ✲ سيُعقد هذا المؤتمر في رومية في عيد الفصح القادم. وقد كتب البشير في عدده الاخير (٣٠ ك ١) مقالة في هذا الشأن نستلفت اليها انظار القرّاء.

أسئلة وأجوبة

س سألنا كثيرون من افاضل البلدة عن السنة ١٩٠٠ أهي بدء القرن العشرين

بدء القرن العشرين

ج انّ القرن العشرين لا يبتدئ الّا في بدء السنة ١٩٠١ امّا السنة ١٩٠٠ فهي فقط ختام القرن التاسع عشر والدليل على ذلك انّ المئات والالوف كالعقود التي لا تتمّ الّا بعدد العشرات. فالعشرة الثانية مثلًا لا تبتدئ بالعدد ١٠ بل بالعدد ١١ وكذلك المئات فلا تبتدئ المئة الثانية الّا بعدد ١٠١ وعليهِ فان المئة التاسعة عشرة تنتهي في ٣١ ك ١ من السنة ١٩٠٠ويكون بدء القرن العشرين في ١ ك٢ سنة ١٩٠١

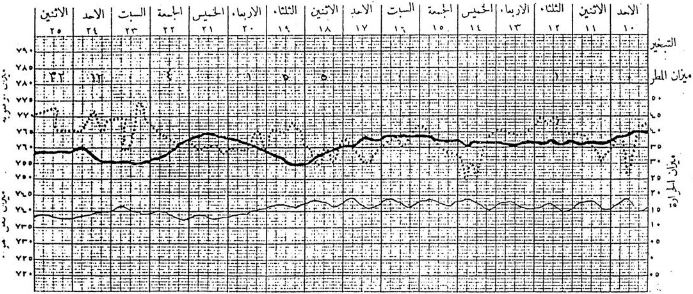
س وسألنا من البترون جناب اسكندر اسطفان المزرعاني كيف امكن تلك المرأة التي قدم اليها شاول ليستشيرها (١ملوك٢٨: ٧—٢٥) ان تُحضر بواسطة السحر صموئيل النبيّ ليقوم في وجه الملك وهل يمكنهُ تعالى ان يسمح للأبالسة خزاهم الله ان يُحضروا من يشاؤوا من القديسين ؟

حضور صموئيل النبي على يد ساحرة اندور

ج نجيب على هذا المشكل الكتابي انّ السحرة لا يمكنهم بدون اذن الله ان يحضروا نفوس الابرار وان فعلوا فليس فعلهم سوى تصاوير خياليّة لا حقيقة لها يصوّرها الشيطان في مخيّلة الناظرين. امّا حضور صموئيل فلم يكن كذلك وانّما كان باذنهِ تعالى لينذر شاول بالشرّ القريب عقاباً لعصيانهِ عليهِ عزّ وجلّ ل. ش

اصلاح بعض اغلاط: ورد في المشرق (٢: ٩٧٦) س ١ (وبعد) س ٣ (حدس) س ٤ (ربق) س ٥ (سجل) س ١٠ (قرق) س ١٥ الحذق .. وجمها. والصواب: بَعْد وحَرْس ورَبو وسَحل وقرو والحِرق . . . وجمهما = ص ٩٨٢ س ٦ (بَذر) و ٩٨٣ س ١٥ و ١٦ (اخراب واغباع) والصواب: بَزْر واضراب واغناخ = ص ٩٨٥ س ١ (يعني التّلَم) والصواب تَلَم

قائمة للآثار الجوّيّة من ١٠ الى ٢٠ كانون الاول ١٨٩٩ .



انَّ الخطّ الضخم (ـــ) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتابع (ـــ) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقَّط (٠٠٠٠٠) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضًا اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعةً بالملمترات وعُشر المِلمترات